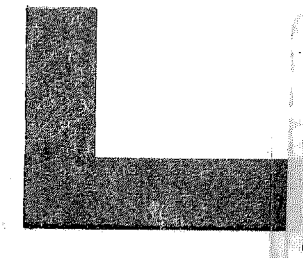
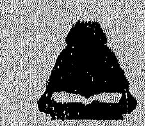
تاريخ المصريين ١٤٣

دبلوماسية البطالمة

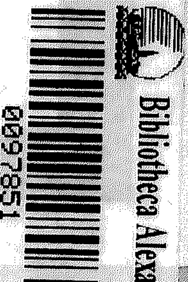
فى القرنين الثانى والأول ق.م

منيرة محمد الهمشرى





الهيئة المصرية
العامة للكتاب





● تاريخ المصريين

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



دبلوماسية البطالمة

في القرنين الثاني والأول ق.م

د. منيرة الهمشري

الاشراف الفنى :

محمـود الجـزار

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق.م. » للدكتورة منيرة محمد الهمشرى ، والكتاب فى الأصـــل رســـالة علمية من جامعة الاسكندرية .

وموضوع الكتاب من الموضوعات التى لم تصدر فيها من قبل دراسات كافية من قبل الباحثين فى التاريخ البطلمى .

وقد قسمته المؤلفة الى مرحلتين زمنيتين : المرحلة الأولى من عام ٢٠٢ ق.م. الى عام ٩٦ ق.م. وفيه تحدثت عن العلاقات المصرية السورية عندما كانت كل من مصر وسوريا ومقدونيا تحت حكم ثلاثة ملوك فتيان هم : بطلميوس الرابع ، وانتيوخس الثالث وفيليب الخامس ، وعندما ضعفت دولة البطالمة فى عهد بطلميوس الرابع ، ظهرت سوريا ومقدونيا ظهورا لم يستمر طويلا ، ثم مالبثت ســـوريا ومقدونيا بعد وفاة بطلميوس الرابع أن أخذتا تعملان للاستيلاء على مملكة البطالمة الواسعة تســـاعدهما الأوضـــاع الداخلية المتردية فى مصر . وتعرضت المؤلفة لدور روما التى كانت

على وشك الانتهاء من الحرب البونية الثانية وأرسلت بعثتها الى الشرق عام ٢٠٢ ق٠م٠ وتناولت المؤلفة فى هذا الفصل المصاهرة التى تمت بين سوريا ومصر عام ١٩٤ ــ ١٩٣ عندما تزوج بطلميوس الخامس من كليوباترة ابنة انتيوخس الثالث ملك سوريا ، وتعرضت للحرب السورية السادسة التى قامت بين ملوك الاسكندرية وانتيوخس الرابع ملك سوريا . وموقف روما وبلاد اليونان من هذه الحرب . وتحدثت عن بداية الاتصال بين مصر وروما ، والعلاقات المصرية الرومانية .

أما المرحلة الثانية ، وتمت من ٩٦ ق٠م٠ الى ٣٠ ق٠م٠ فقد تناولت فيها المؤلفة نحو السيطرة الرومانية على مصر ، وقسمتها الى قسمين : فترة حكم بطلميوس الزمار (الثانى عشر) ، وفترة حكم كليوباترة السابعة (٥٠ ــ ٣٠ ق٠م٠) التى كانت صحوة حدثت فى الفترة الأخيرة من حكم البطالمة .

والكتاب بذلك يعد مرجعا مهما فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة يفيد منه الباحث المتخصص والمثقف العادى .

والله الموفق ،،،

رئيس التحرير

أ . د . عبد العظيم رمضان

شكر

فى البداية أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذى الدكتور مصطفى عبد الحميد العبادى على توجيهاته لى . فقد كان القدوة الذى تعلمت منه الأمانة العلمية فى البحث . والدأب فيه . وقد كان شرفا عظيما لى أن يكون المشرف على الرسالة .

وكذلك أتقدم بالشكر الى الأستاذ الدكتور داود عبده داود لما قدمه لى من مساعدات قيمة .

كما أتوجه بالشكر الى الأستاذ يوسف حنا مدير المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية لمعاونته الصادقة لى وأشكر الأستاذ يوسف الغريانى على تشجيعه لى . ولا يفوتنى أن أتقدم بالشكر الى السيدة درية سعيد لمعاونتها الصادقة لى .

وأتوجه بالشكر الى أمينات مكتبة المتحف الرومانى وأخص بالشكر السيدة سميرة حنفى .

كذلك أتقدم بالشكر الى أساتذتى بقسم الحضارة اليونانية الرومانية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية والى معيدات ومعيدى

القسم وبالاخص السيدة سهير زكى بسيونى المدرسة المســاعدة بالقسم .

وكذلك اتقدم بالشكر الى جمعية الآثار بالاسكندرية التى أفدت من مكتبتها واقدم شكرى الى العاملين بمكتبة جامعة الاســكندرية كذلك مكتبة كلية الآداب ومكتبة المتحف المصرى بالقاهرة لما قدموه لى من مساعدات .

والله ولى التوفيق ،،،

المقدمـــة

هـــدف البحث

يتناول البحث الذى أقدمه فى رسالتى هذه النشاط الدبلوماسى البطلمى فى حوض البحر المتوسط ومدى تأثره بدور روما وذلك فى الفترة التى تقع من عام ٢٠٢ ق٠م الى عام ٣٠ ق٠م وذلك من خلال نصوص المؤرخين القدامى والوثائق البردية والنقوش ٠

والهدف من بحثى هذا هو دراســـة تاريخية لعبت فيهـا الدبلوماسية دورا مهما ، وعلى قدر معرفتى لم تنل حظا من اهتمام الباحثين الذين اهتم معظمهم بالقرن الثالث مثل(١) Holleaux ٠

كذلك فى فترة بدأت فيها امبراطورية البطالمة فى الانهيـــار تدريجا منذ عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور بينما بدأت قوة روما فى الظهور والازدهار فى حوض البحر المتوسط وحاولت منذ بدأ

(١) Holleaux M., Rome, La Gréce Et les Monarchies Hellénistiques, Au IIIe Sicéle Avant J. — C.

ظهورها أن تحفظ التوازن السياسى فى المنطقة الذى ساعد على تعاظم قوتها .

وقد قسمت هذا البحث الى مرحلتين زمنيتين :

المرحـــلة الأولى :

وهى تمتد من عام ٢٠٢ ق٠م الى ٩٦ ق٠م وقسمتها بالتالى الى جزءين .

فى الجزء الأول تحدثت عن العلاقات المصرية السليوقية وما حدث من اتفاق الملك أنتيوخس الثالث ملك سوريا والملك فيليب الخامس ملك مقدونيا على تقسيم أملاك البطالمة بعد أن شعروا بضعفها عقب وفاة بطلميوس الرابع واعتلاء ابنه بطلميوس الخامس (أبيانس) للعرش وهو طفل صغير .

وتعرضت لدور روما التى كانت على وشك الانتهاء من الحرب البونية الثانية وأرسلت بعثتها للشرق عام ٢٠٢ ق٠م .

كذلك تناولت بالتحليل والدراسة بعثة روما لانتيوخس الثالث فى لوســـيماخيا عام ١٩٦ ق٠م٠ وفيها يظهر الجانب الدبلوماسى البارع لروما حيث غيرت موقفها عما كان عليه عام ٢٠٢ ق٠م٠ تماما وذلك بعد أن اطمأنت على انتصارها على فيليب الخامس فى الحرب المقدونية الثانية ، وبدأت سياسة جديدة بالنسبة لسوريا فقد حذر المبعوثون الرومان الملك السورى من توسع أملاكه وهددوه بالحرب اذا تعدى حدود مملكته وأوضـــــحت فى ردود أنتيوخس الثالث مدى ثقته بنفسه وعزمه على استرجاع مملكة أجداده .

تناولت كذلك فى هذا الفصل المصاهرة التى تمت بين سوريا ومصـــر عام ١٩٤ ــ ١٩٣ ق٠م٠ عندما تزوج بطلميوس الخامس « أبيفانس » من كليوباترة الأولى ابنة أنتيوخس الثالث ملك سوريا

الذى اتخذ المصاهرة مع الملوك المجاورين وسيلة دبلوماسية لكسب تحالفهم معه فىصراعه ضد الرومان . وتحدثت عن مهر كليوباترة الذى تضاربت بصدده آراء الكتاب القدامى .

ثم تناولت فى نهاية هذا الفصل الحرب السورية السادسة التى قامت بين ملوك الاسكندرية وهم بطلميوس السادس فليلوميتور وأخوه يورجيتيس الثانى من ناحية وأنتيوخس الرابع الملك السورى من ناحية أخرى وهو الذى لعب دورا دبلوماسيا غاية فى الذكاء عندما بدأ بشن الحرب مدعيا أن مصر هى التى بدأت واستغل فى ذلك دعاية الوصيين على العرش .

كذلك تعرضت لموقف روما وبلاد اليونان من تلك الحرب .

فى الجزء الثانى وهو العلاقات المصرية الرومانية تحدثت عن بداية الاتصال بين مصر وروما ثم عن البعثة التى أرسلتها روما الى الشرق عام ٢٠٠ ق.م. بعد انتصارها على هانيبال فى الحرب البونية الثانية ومقابلتها لكل من ملك مصر بطلميوس الخامس وملك مقدونيا فيليب الخامس وموقف كل من الملكين من البعثات الرومانية وان البعثة لم تقابل الملك السورى وبذلك قامت بدور دبلوماسى يخدم مصالحها وهو أنها غضت الطرف عن تحركات أنتيوخس الثالث حتى تكسب محالفته أثناء صراعها مع مقدونيا (الحرب المقدونية الثانية) .

ثم تحدثت عن معاهدة أباميا ونتائجها فى الشرق .

بعد ذلك تعرضت بالتفصيل لموقف روما من الحرب السورية السادسة التى قاد فيها الملك السورى أنتيوخس الرابع حملاته الى مصر وأن المبعوث الرومانى الذى قابل الملك السورى فى أرض مصر كان السبب المباشر لانسحاب القوات السورية وانقاذ مصر من الاحتلال السليوقى .

واخيرا تعرضت بالدراسة للعلاقات المصرية الرومانية فى بداية تدخل روما الفعلى فى مملكة البطالمة وبداية استغلالها الشقاق بين الأخوين بطلميوس السادس فيلوميتور ويورجتيس الثانى .

وشرحت كيف أن الاخوة هم الذين ساعدوا روما ووصل بهم الحال من الضعف والمهانة ان اوصوا بممالكهم لروما مثلما حدث فى وصاية يورجيتيس الثانى وابنه بطلميوس ابيون .

المرحلة الثانية :

وتمتد من ٩٦ الى ٣٠ ق.م. وقد جعلتها لدراسة نمو السيطرة الرومانية على مصر وقسمتها الى فترتين .

فترة حكم بطلميوس الزمار وما تخللها من صور للمهانة التى سلكها هذا الملك أثناء تزلفه للرومان .

فى البداية تحدثت عن تلاعب روما بمصير هذا الملك وادعائها وجود وصية تركها سلفه بطلميوس الحادى عشر (اسكندر الثانى) يوصى فيها بمملكته للرومان وما تخلل ذلك عن محاولات قام بها الملك البطلمى فى روما ودفعه الرشاوى حتى يستطيع أن يحصل على اعتراف روما به ملكا على مصر .

وتعرضت لموقف الأحزاب الرومانية من الملك بطلميوس الزمار من ناحية ومن ناحية أخرى محاوراته الدبلوماسية لاستغلال الشقاق الحزبى فى روما كى يكسب قضيته .

ثم تناولت بالدراسة هروبه الى روما بعد الاعتراف به ملكا بمدة قصيرة وضم الرومان لقبرص واستعداءه الرومان على رعيته ثم عودته من روما .. وبينت خلال ذلك استدانته من رجل المال الرومانى (رابيريوس بوستوموس) .

فترة حكم كليوباترة السابعة :

وتلك الفترة قسمتها الى فترتين لاحقتين : الفترة الأولى وهى علاقة كليوباترة بقيصر وكيف حضـــر الى الاسكندرية فى أعقاب بومبى وقيامه بتنفيذ وصية الزمار باقامة كيلوباترة ملكة على العرش ومشاركة أحد أخويها لها وغرضـــه من ذلك فى تأكيد فرض حماية روما على مصر . ثم بقاؤه فى الاسكندرية وعلاقته بكليوباترة وانجابه منها ثم ذهابها الى روما فى أعقابه وانها كانت سببا من الأسباب التى عجلت بنهايته حين قتله الجمهوريون عام ٤٤ ق.م.

الفترة الأخيرة من حكم كليوباتره وهى نفسها الفترة الأخيرة من بقاء دولة البطالمة مستقلة تعرضت فيها بالدارســـة لعـــلاقة كليوباترة وماركوس انطونيوس ومحاولتها من خلال تلك العلاقة أن تحقق ما كانت ترجوه على يد قيصر وكيف أخفقت فى ذلك من قبل وبينت فى دراستى المحاولات العديدة التى اتبعتها كى تكسبه الى جانبها وتجعله أداة تحارب بها روما وقبل ذلك استطاعت أن تستعيد مملكة أجدادها كلها تقريبا .

كذلك عرضت من خلال دراسة النصوص علاقة مملكة البطالمة باليهود منذ أيام قيصر . وتعرضت لحملة التشهير التى قام بها أوكتافيان ضد أنطونيوس مبينا ذكاءه فيها وان دعايته تلك كانت سببا قويا من الأسباب التى أدت الى انتصاره على الشرق .

فى نهاية تلك الفترة وضحت كيف حارب الشرق الهيلنستى الغرب ممثلا فى روما وانتصار أوكتافيان الممثل للغرب على أنطونيوس وكليوباترة ومعهم جميع ما بقى من الهلينستية وميديا ورأمبنيا وذلك فى وقعة أكتيوم ٣٠ ق.م.

* * *



المصـــادر

تنقسم المصادر التى حصلت منها على مادة البحث الى مصادر أدبية ووثائق بردية ونقوش وقد كان اعتمادى الأكبر فى البحث على المصـــــادر الأدبيـــة ، الوثائق البردية والنقوش كانت أقل فـــائدة .

المصـــادر الأدبيـــة :

استعنت بكل ما استطعت الحصول عليه من نصوص كتبها المؤرخون القدامى وتشمل نصوصا تاريخية واتصـــالات وبعثات دبلوماسية أو كتابات تختص بدراسة وتحليل شخصيات كانت أبطالا لفصول البحث .

وسأشرح بايجاز ما استعنت به من النصوص القديمة .

بولوبيوس :

وهو مؤرخ يونانى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد وعرف بعدائه وعدم احترامه لممالك الهلينستية واعجابه الشديد بروما ورأيه بأنها أحق بأن تسود العالم .

وقد وثقت كثيرا فى كتاباته وذلك لنظرته السياسية الدقيقة كذلك لقربه من معظم الأحداث التى رواها أو لمعاصرته لبعضها وكان أهم ما استعنت به من كتاباته عن المعاهدة التى تمت بين الملك أنتيوخس الثالث وفيليب الخامس حول تقسيم مملكة البطالمة وعن البعثة التى أرسلتها روما لأنتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق٠م٠ وقد أفدت من كتاباته .

كذلك اســتعنت بكتابات بوليبيوس أثناء الحديث عن زواج بطلميوس الخامس من كليوباترة الأولى حيث ذكر عن هذا الزواج وتكلم عن مشكلة المهر .

كذلك وجدت مادة لبحثى فى نصوص بوليبيوس فيما يتعلق بالحرب السورية السادسة ويوضح فى النص سير حملات الملك السورى . كذلك نصوص توضح سفارات من مصر وسوريا الى روما . وعن بعثات من المدن اليونانية ، وعن ذهاب الملك أنتيوخس الرابع الى نقراطيس ثم تهديد روما للملك السورى ، أما فى حديثه عن شقاق الاخوين فيلوميتور ويورجتيس الثانى فقد وجدت مادة البحث فى النصوص أيضا .

أبيـــــانوس :

وهو كاتب يونانى عاش فى الفترة الأخيرة من القرن الأول وأوائل القرن الثانى الميلادى وتقلد كثيرا من المناصب فى الاسكندرية لذلك نجد أن كتاباته لا تخلو من التحيز وترديد وجهة نظر الاسكندرية ويبدو ذلك واضحا أثناء حديثه عن مهر كليوباترة الأولى .

كان أبيانوس هو المصدر الوحيد الذى أفدت منه فى اثبات أن أنتيوخس الثالث هو الذى بدأ بعرض الزواج على الملك البطلمى فى مصر . واستطعت أن أثبت على ضوء حديثه فى هذا الموضوع

أن ذلك خط سياسى سار عليه أنتيوخس الثالث للتحالف مع الممالك المجاورة .

وقد أخذت نصوصه بحذر شديد نظرا لعدم دقته فى سـرد الأحداث مثال ذلك عندما خلط بين بطلميوس الرابع والخامس عند حديثه عن اتفاقية التقسيم بين سوريا ومقدونيا كذلك حدث الخلط أثناء حديثه عن تحرك أنتيوخس الثالث للاستيلاء على عرش مصر عام ١٩٦ ق٠م٠ .

كان أبيانوس أيضا مصدرا أساسيا فى توضيح وصية بطلميوس أبيون التى أوصى فيها بمملكته للرومان .

وقد أفدت أيضا من كتاباته الكثيرة عن عصر كليوباترة خصوصا النبوءة التى أشاعها قيصر وكان الهدف منها اقامة الملكية فى روما .

ليفيـوس :

مؤرخ رومانى عاش فى الفترة من ٥٩ ق٠م٠ الى ١٧ م وعرف بتحيزه للرومان مثال ذلك ما يرويه فى حديثه عن بعثة بوبمليوس لايناس ودورها فى اجلاء الملك السورى عن مصر وكان ليفيوس هو المصدر الوحيد الذى توصلت على ضوء حديثه الى أن اتفاقية التقسيم بين مقدونيا وسوريا عام ٢٠٠ ق٠م٠ لم يكن الغرض منها الاستيلاء على مصر حيث ذكر التعبير Aegypti Opes وهو ما يعبر به عن ثروة مصر أى أملاكها الخارجية .

كذلك أفدت من كتاباته عن البعثة التى أرسـلها الرومان لانتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق٠م٠ وتحدث أيضا عن زواج كليوباترة الأولى من بطلميوس الخامس .

واستقيت منه معلوماتى عن الحرب السـورية السادسة

خصوصا السفارات من مصر وســوريا وموقف روما من كل منها وحصار أنتيوخس الرابع للاسكندرية .

وفى مجال العلاقات المصــرية الرومانية فقد أفدت كثيرا من كتابته عن البعثة الرومانية للشرق عام ٢٠٠ ق.م.

جـــوزيفوس :

مؤرخ يهودى عاش فى الفترة من ٣٧ حتى ٩٥ ميلادية . عرف بتحيزه لليهود والدعاية لهم مثال ذلك ما يصف به الملك هيرود . كذلك ما يصــف به جيش اليهود الذى ساعد قيصـــر أثناء حرب الاسكندرية حيث يعزو انتصار متريداتس عند بلوزيوم الى مساعده أنتيباتروس وأن اليهود لهم الدور الأكبر فى فك الحصار وانتصار قيصـــر .

كذلك أثناء حديثه عن مهر كليوباترة الأولى فهو يردد وجهة النظر اليهودية المعادية للدولة السورية ورغم ذلك فقد أفدت منه فى الحديث عن هذا الزواج حيث شــرح بوضـــوح مهر كليوباترة والحرب السورية السادسة .

وعرف جوزيفوس أيضا بعدائه لكليوباترة مثال ذلك حـديثه عنها ، وذلك عندما طلبت من أنطونيوس أن يأخذ أملاك هيرود ملك يهودية ومالخوس ملك النبط ويعطيها لها .

ديودور الصــقلى :

وهو مؤرخ يونانى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد . وزار مصر عام ٦٠ ق.م. تقريبا .

أفدت من كتابته أثناء حديثى عن الحرب السورية الســادسة والدعاية التى قام بها الوصيان يولايوس ولينايوس قبل الحرب .

كذلك أخذت منه مادة لبحثى أثناء الصـــراع بين الاخوين فيلوميتور ويورجتيس الثانى ولجوء فيلوميتور الى روما .

وكان هو المصـــــدر الوحيد فى الحديث عن بعثة اســـكيبيو ايميليانوس الى مصر كذلك أفدت من كتابات ديودور أثناء حديثه عن زيارته لمصر ووصفه حالة الخوف والملق من شعب الاسكندرية للرومان فى عهد بطلميوس الزمار .

شــــيشرون :

كاتب رومانى عاش فى الفـــترة ما بين ١٠٦ و ٤٣ ق.م. وعاصر فترة الصراع بين بومبى وقيصر ولجوء بطلميوس الزمار الى روما كذلك فترة علاقة قيصر وكليوباترة .

وقد ساعدتنى كتاباته كثيرا فى استقاء مادة بحثى فى الكتابة عن بطلميوس الزمار واستدانته الأموال كتب عنه فى Pro-Rabirio Postumo كذلك فى موضوع ضم مصر للامبراطورية الرومانية حيث هاجم قانون الأراضى Delege Agraria ومن خلال خطبه فى معارضة المشروع استطعت أن أحصل على ما يخص ملك مصر، وكانت خطبته الأولى فى معارضة هذا المشروع هى المصدر الوحيد للكتابة عن الوصية التى تركها الاسكندر الثانى والتى يوصى فيها روما بوراثة مملكته بعد وفاته .

وعرف شيشرون بمهاجمته لكليوباترة ويتضح ذلك من كتابته عنها فى رسالة لصديقه أتيكوس كذلك فى رسالة أخرى لاتيكوس .

بلوتارخ :

عاش فى الفترة من ٤٦ ق.م حتى ٢٠ ميلادية وأهم أعماله هو كتاباته عن سير العظماء التى أفدت منها كثيرا أثناء حديثى عن أفراد

استطاعوا أن يلعبوا دورا مهما فى مجريات الحياة السياسة مثل قيصر وكراسوس وبومبى وأنطونيوس وشيشرون وكاتو الصغير ومن خلال حديثه عن قيصر وأنطونيوس استقبت مادة غزيرة للبحث تخص كليوباترة التى لم تنج من مهاجمته لها كغيره من الـــكتاب القـــدامى .

ديون كاســـيوس :

كاتب رومانى عاش خلال أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى الميلادى .

أفدت كثيرا من كتاباته فى التاريخ الرومانى خلال الحديث عن فترة بطلميوس الزمار وكليوباترة السابعة خصوصا عن ضم قبرص للامبراطورية الرومانية ورأيه فى أن السبب ابعاد كاتو عن روما لكره الحكومة الثلاثية له وغرض كلودبوس من الانتقـــام من ملك قبرص بسبب العداء الشخصى بينهما .

كذلك أفدت منه فى الكتابة عن فرار الزمار الى روما .

وقد لمست فيه قدرة على بحث الأمور ومعالجتها وذلك نظرا لمعرفته بخبايا الحياة السياسية فى روما حيث تقلد كثيرا من المناصب فى روما حتى وصل الى منصب قنصل . ومثال ذلك حديثه عن الصراع الحزبى فى روما على اعادة الزمار الى وطنه ثم حضور كليوباترة فى أعقاب قيصر الى روما وعلاقة أنطونيوس بكليوباترة والنزاع بين أوكتافيان وأنطونيوس ووصية انطونيوس .

الوثائق البردية والنقوش :

بجانب المصادر الأدبية التى أفدت منها كثيرا حيث كان حديثى فى مجمل الرسالة عن الدبلوماسية والاتصالات الخارجية فقد أفدت كثيرا من الوثائق البردية رغم أنى لم استخدم منها الكثير .

استعنت بمجموعة تبتونس

The Tebtunis Papyri, edited by Arthur Hunt Bernard Grenfell Gilbart Smyly and C. Edgar, London, 1902.

وهى عبارة عن ثلاثة أجزاء فى أربعة مجلدات استخدمت الجزء الثالث حين تحدثت عن حملات الملك أنتيوخس الرابع عاى مصر .

أما برديات Catalogue General des Antiquites Ebyptiennes du musse du Caire

فقد افدت منها فى التوصـــــل الى أن زواج ابنة بطلميوس فيلادلفوس من ملك سوريا كان أول مصاهرة تمت بين ســـــوريا ومصــــر .

كما استعنت بـــ

Ardhiv Für Papyrusforschung Und Verwandte Gebiete.

للتدليل على بداية العلاقات بين مصر وروما .

أما النقوش فلم استخدم منها فى دراستى سوى نقوش SEû حيث حصلت على نص وصية يورجيتيس الثانى التى وصى فيها بمملكته للرومان .

كذلك استعنت بنقش ديلوس الذى يعبر فيه التجار والبحارة الرومان عن سرورهم لاستعادة يورجيتيس الثانى للاسكندرية .

* * *



المرحـــلة الأولـــى

(٢٠٢ — ٩٦ ق٠م)

- العلاقات المصرية السليوقية .
- العلاقات المصرية الرومانية .



اذا كنت أود أن أقدم فى مجمل بحثى هذا صورة عن دبلوماسية مصر فى حوض البحر المتوسط من خلال نشاطها الخـارجى فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد فانى أحاول بهذا المدخل أن أمهد للبحث نفسه وذلك بعرض للأحداث التى مرت بمنطقة شرق البحر المتوسط فى القرن الثالث وبالتحديد منذ وفاة الاسكندر حتى نهاية عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور (٣٢٣ ـ ٢٠٥ ق٠م٠) ٠

لقد جاء الاسكندر المقدونى الى مصر غازيا ومحاولا تحقيق فكرة العالمية التى أرادها بامتزاج الشرق والغرب التى لم يؤمن بها ولم يسع لتحقيقها أى من قواده ولكنهم جميعا حاولوا (كل على حدة) أن يؤمنوا لأنفسهم مناطق نفوذ واسعة ٠

وكما يعتبر فتح الاسكندر الأكبر للشرق نقطة تحول فى تاريخ حوض البحر المتوسط بأسره فانه تعتبر وفاته أيضا عام ٣٢٣ ق٠م نقطة تحول أخرى فى سير الأحداث التى كان من الممكن أن تحدث لو أن الاسكندر قد قدر له أن يعيش ليحقق ما كان يطمح اليه من اقامة امبراطورية عالمية ٠

واذا نظرنا لتطور الأحداث منذ وفاة الاسكندر نجد أن بطلميوس ابن لاجوس قد عمل على الاستقلال بمصر منذ اقترح فى مؤتمر بابل عام ٣٢٣ ق.م. أن تؤول ادارة الامبراطورية الى قـــواد الاسكندر وهو اتجاه من السهل أن نتبين فيه رغبة بطلميوس فى تمييع الموقف حتى يقوى مركز كل قائد فى المنطقة التى سوف تؤول اليه وذلك فيه القضاء على أى سلطة مركزية(١) .

وعندما استطاع بطلميوس الأول الاستقلال بمصر اتبع سياسة خارجية كانت هى الأساس الذى ســـار عليه خلفاؤه من بعده مادام لمصر نصيب من الاستقلال الذاتى فقد ابتعد ســوتير عن المشاحنات التى حدثت بين القادة للاســـتيلاء على امبراطورية الاسكندر الا بالقدر الذى يخدم مصالحه وبدأ بتنفيذ ســـياسته للاســـتقلال بمصــر وتأمينها واعدادها كقوة لها وزنها فى المنطقة المحيطة بها .

فنجد أنه قد أمن حدود مصر الشرقية والغربية وجعل لنفسه مناطق نفوذ فى جزر بحر ايجه ليضمن السيطرة على البحر(٢) حيث كان بحر ايجه هو محور الاقتصاد والتقدم الحضـــارى فى القرن الثالث .

لقد كان الحكام فى مصر القديمة أثناء الدولة القديمة والوسطى والحديثة يكفيهم أن يملكوا الشاطىء السورى حتى يوفوا باحتياجاتهم ولكن ازدهار آسيا الصغرى والتقدم الحضارى فى بلاد الاغريق جعل حكام مصر يحولون نظرهم الى البحر المتوســـط لا لمحاربة اليونان وآسيا الصغرى ولكن لمراقبة البحر وجميع الطرق المؤدية للشمال والشرق منعا لأية محاولة للقضاء على مصر هذا بجانب الجنوب(٣) .

ومهما قيل عن الغرض الحقيقى من اســتقلال بطلميوس بن لاجوس بمصر وهل كانت رغبته فى جعل مصر نقطة ارتكاز يحاول منها الاستيلاء على بقية امبراطورية الاســكندر من القادة الآخرين (وبهذا لا يبدو أن بطلميوس قد اختلف عن بقية القادة المقدونيين فى أغراضه ولكن كان اختلافه معهم فى الاســـلوب الذى اتبعه فقط) أو ان أقصى آماله كان الاســتقلال بمصـــر وتكوين مملكة له ولأولاده من بعده .. على كل حال فقد حدث أن واجه القادة بعضهم البعض مواجهة سافرة مسلحة ودخلوا فى حروب طويلة اجبرت حاكم مصر الجديد أن يكون فى أحيان كثيرة طرفا فيها وذلك حتى لا يضيع حياته فى حروب لا طائل نها مثل عديد من زملائه . مصـــالحه .

ولكننا نستبعد أن يكون بطلميوس قد حاول أن يقيم امبراطورية عالمية وان يستولى على كل امبراطورية الاسكندر .

وهنا يظهر ذكاؤه الذى كان سببا من أسباب نجاحه فى انشاء دولته وهو انه عرف قدر نفســه تماما ولم يمن نفسه بأكثر مما يستطيع حتى لا يضيع حياته فى حروب لا طائل منها مثل عديد من زملائه .

ومن الأرجح أن بطلميوس كان هدفه انشاء دولة قوية فى مصر تستطيع الدفاع عن نفسها من الاعتداءات الخارجية وكانت هذه السياسة تحتم عليه استقدام جنود مرتزقة وذلك للســيطرة على الطرق البحرية المؤدية الى مصر لضمان هذا الاستقلال .

وهذا يستلزم ايضا ملكية أسطول قوى ولكن موارد مصـــر لا تفى بتلك الاحتياجات فبحث البطالمة عن اقاليم تفى بحاجاتهم لبناء الأسطول ولهذا استولوا على سيناء وسوريا وقبرص وأقاليم من آسيا الصغرى خصوصا (ليكيا) ولم يكن أمامهم طريق للحصول على الأموال الا بالتجارة الخارجية الواسعة وكان لزاما عليهم تأمين خطوط ملاحية حتى ينتعش اقتصادهم .

لذلك كان عمل البطالمة فى الحفاظ على سلامة مصر والاستقلال بها يحتاج الى جيش وأسطول قويين وهذا قادهم الى سياسة اقتصادية(٤) .

ونستطيع أن نقول أن البطالمة أرادوا الاستقلال بمصر وجعلها قوة مستقلة وان غرض سونير من الاستيلاء على مناطق اخرى لم يكن الا ليؤمن حدود مملكته المنتصرة .. كذلك مساعدته لطرف ضد آخر كان لقاء خدمات تقدم للاحتفاظ بغنيمته .

نجم الصراع بين قادة الاسكندر على منح مصر لبطلميوس ومنح لوسيماخوس تراقيا وعهد الى سليوقس أن يكون ساعدا أيمن لبرديكاس فى قيادة الجيش(٥) ولكن كانت هناك أشواط طويلة من الصراعات بين القادة انتهت بتقسيم حدث عام ٣٠١ ق.م.

وكان من نتائج هذا التقسيم أن يظل بطلميوس فى مصر وكاساندروس فى مقدونيا واليونان ولوسيماخوس فى آسيا الصغرى وسليوقس فى بابل وسوريا(٦) .

وتمخضت الحوادث بعد ذلك عن وجود ثلاث ممالك قوية استطاعت أن تكون هى القوى المؤثرة فى شرق حوض البحر المتوسط وهى أسرة بطلميوس فى مصر وأسرة انتيجونوس فى مقدونيا وأسرة سليوقى فى سوريا .

ولو نظرنا لكل تقسيم يحدث بعد حوادث جسام ومعارك طويلة طاحنة نجد أن بطلميوس هو فى مصر ولم يتغير حتى عندما استقرت الممالك الاستقرار النهائى الذى لم يقض عليه سوى ظهور قوة روما فى حوض البحر المتوسط فان مصر كانت من نصيب بطلميوس ويدلنا ذلك على مدى اصرار هذا القائد وعمله الدائب وسياسته الواضحة فى الاستيلاء على مصر ثم الاستقلال بها ثم تقويتها وجعلها امبراطورية عظيمة .

تميز القرن الثالث بالنسبة لمصر بتوســـيع ممتلكاتها بعكس الفترة التالية التى شـــلمت القرنين الثانى والأول قبل الميلاد والتى انتهت بفتح الرومان لمصر وادخالها فى نطاق النفوذ الرومانى وبعد أن كانت مصر قوة يخشى بأسها الجميع فى حوض البحر المتوسط تحولت الى مجرد أن تصبح قوة تستطيع أن ترد غارات جاراتها بعد أن أصبحت هدفا لمطامع تلك الممالك المجاورة وأكثر من ذلك تحولها فى نهاية الأمر الى أن تصبح تابعا للسياسة الرومانية .

ولو استعرضنا السياسة الخارجية للبطالمة فى خلال القرن الثالث نجد أن :

بطلميوس الأول (سوتير) ٣٢٣ — ٢٨٤ ق٠م٠ :

وهو الذى وضع أسس السياسة الخارجية التى سار عليها خلفاؤه من بعده فقد عمل على توسيع مملكته وجعلها امبراطورية واسعة وذلك باستيلائه على قورينة(٧) بعد اندلاع ثورة أهلية بها عام ٣٢٣ ق٠م٠ ثم استيلائه على قبرص عام ٢٩٥ — ٢٩٤ ق٠م٠ التى ظلت تابعة للبطالمة منذ هذا التاريخ الى عام ٥٨ ق٠م٠(٨) وبعد ذلك تقوية نفوذه فى بحر ايجة .

والشىء الذى يستحق الذكر هنا أثناء حديثنا عن مؤسس دولة البطالمة هو المشكلة السورية التى نشأت بعد تقسيم ٣٠١ ق٠م٠ حينما أخذ منه وادى سوريا وبدأ منذ ذلك الوقت الخلاف بين مصر وسوريا على هذا الاقليم الذى استمر حتى عام ١٤٥ ق٠م٠ عند نهاية حكم بطلميوس السادس فيلوميتور .

بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) ٢٨٤ — ٢٤٦ ق٠م٠ :

ويبدو أن الامبراطورية البطلمية بلغت فى عهد ثانى البطالمة أوسع رقعة لها فى عهد البطالمة جميعا اذ استطاع أن يخضـــع

الجنوب السورى الذى كان مسألة معلقة بين مصر وسوريا فى عهد والده كذلك استطاع أن يوسع نفوذه فى بحر ايجه وأن يثبت نفوذ البطالمة فى برقة .

وفى عهد عهد فيلادلفوس بدأت أول اتصالات بين مصر وروما ويبدو أنها كانت اتصالات اقتصادية فى أول الأمر وكانت روما ماتزال قوة ناشئة فى حوض البحر المتوسط .

بطلميوس الثالث (يورجيتيس) ٢٤٦ — ٢٢١ ق٠م٠ :

فى عهده بقيت لمصر ممتلكاتها فى وادى سوريا وآسيا الصغرى وبرقة وقد استطاع أن يستخدم الأساليب الدبلوماسية فى الاحتفاظ بمملكته وذلك بزرع الفتنة فى داخل بلاد منافسيه فى سوريا ومقدونيا واليونان وذلك باستغلال الحروب الأهلية فى سوريا وتأليب المدن اليونانية ومساندنها فى ثوراتها وحروبها ضد مقدونيا لذلك نرى أن بطلميوس الثالث لم يدخل غمار الحروب الا لوقت قليل وتميزت فترة حكمه بالنشاط الدبلوماسى .

بطلميوس الرابع (فيلوباتور) ٢٢١ — ٢٠٥ ق٠م٠ :

نستطيع أن نقول أن فترة حكم فيلوباتور هى نقطة التحول فى تاريخ دولة البطالمة فقد تحولت من الازدهار الى عهد الاضمحلال وبدأت تفقد امبراطوريتها وذلك لطمع القوى الخارجية فيها .

ولم يكن هناك شىء يذكر فى حياة هذا الملك سوى انتصاره فى معركة رفح التى لم يكن له الفضل فيها حيث كان هناك سوسيبيوس السياسى القدير الذى استطاع أن يكسب النصر وذلك بفضل أساليبه الدبلوماسية الناجحة التى استعملها مع سوريا بالاضافة الى الجنود المصريين الذين كان لهم الفضل فى هذا الانتصار .

هـــوامش

(١) د . لطفى عبد الوهاب يحيى . دراسات فى تاريخ مصر — عصر البطالمة ص ١١٠ .

(٢) د . مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ص ٣٢ .

(٣) Rostovtzeff, Foundatoin of Social and Economic Life in Egypt, J.E.A. 1920, 172.

(٤) Rostovizeff, Foundation of Social and Economic Life in Egypt, J.E.A. 19200, 172.

(٥) د . العبادى — مصر من الاسكندر الأكبر الى الفتح العربى ص ٣٠ .

(٦) نفس المرجع ص ٤١ .

(٧) Jones A.H.M. The Cities of the Eastern Roman Province's P. 357.

(٨) Ibid, P. 370.

* * *

العلاقـات المصريـة السلوقيـة

تبدأ تلك الفترة التى نتناولها بالبحث والتى تمتد من ٢٠٢ حتى ٩٦ ق.م. باضمحلال ثلاث قوى كانت هى المسيطرة على شرقى حوض البحر المتوسط خلال القرن الثالث قبل الميلاد هى مصر وسوريا ومقدونيا . كذلك تبدأ بظهور روما التى استطاعت فى خلال القرنين الثانى والأول أن تكون هى العامل الأول أو لعلها أصبحت العامل الأوحد فى تحريك جميع القوى الموجودة فى المنطقة .

نحن نعلم أنه فى نهاية الربع الأخير من القرن الثالث تربع على عرش كل من مصر وسوريا ومقدونيا ثلاثة ملوك فتيان هم بطلميوس الرابع وأنتيوخس الثالث وفيليب الخامس وما لبثت أن ضعفت دولة البطالمة فى عهد بطلميوس الرابع (فيلوباتور) ٢٢١ — ٢٠٥ ق.م. وظهرت سوريا ومقدونيا ظهورا خاطفا لم يستمر طويلا .

ومع وفاة بطلميوس الرابع وانتقال العرش لطفل صغير هو بطلميوس الخامس (ابيفانس) ٢٠٥ — ١٨٠ ق.م. بدأت كل من سوريا ومقدونيا تعملان للاستيلاء على مملكة البطالمة الواسعة

تساعدهما الأحداث الداخلية غير المستقرة فى مصر وذلك لوجود حكومة فاسدة كان على رأسها الأوصياء على العرش فكان هذا الاتفاق الذى سنتحدث عنه وقد تم بين انتيوخس الثالث وفيليب الخامس وذلك عند وفاة بطلميوس الرابع .

تتفق المصادر التى لدينا على وجود معاهدة أو نستطيع أن نقول انه اتفاق بين الملكين .

فى نص بوليبيوس يذكر أنه (عندما توفى «بطلميوس الرابع» ترك طفلا صـــــغيرا وكان من الطبيعى أن يقدم أنتيوخس وفيليب المساعدة للمملكة ، وشجع كل منهما الآخر على أن يتحركا لتقسيم مملكة الطفل) .

فى هذا النص لا نجد ذكرا لمناطق التقسيم .

هناك نص يوليبيوس أيضا يذكر فيه : (عندما توفى الملك بطلميوس اتفق أنتيوخس وفيليب على القيام بشىء مشين وهو تقسيم مملكة الطفل فيضع فيليب يده على جزر بحر ابجة وكاريا وساموس ويأخذ أنتيوخس وادى سوريا وفينيقيا) .

واذا كان بوليبيوس هو المصدر الأقدم من المصـــادر جميعا ويتمتع بالنسبة لنا بثقة أكثر من المصادر الأخرى التى تتحدث عن تلك الفترة فاننا نجد مصدرا آخر مثل ليفيوس يذكر أن : (رغبة فيليب جعلته بعقد معاهدة مع أنتيوخس ملك سوريا حول تقسيم ثروة مصر التى كانت فى متناول يدهم عند ســــــماعهم نبأ وفاة بطلميوس ملك مصر) .

« rex W...., sed animos ci faciebat praeter ferociam foedus ictum cum Antiochos, syriae rege, divisaeque iam cum eo Aegyptioopes, cui morte audita ptolo maei regis ambo imminebant.

فى نص ليفيوس هذا لا نجد اشارة لمناطق التقسيم سوى اشارته الى أن التقسيم يشـــــمل ثروة مصــــــر «Aegyptioopes»

غير أن لدينا نص لابيانوس وهو متأخر عن تلك النصوص ويذكر فيه أن مصر كانت من مناطق التقسيم .

(قيل أن فيليب وأنتيوخس ملك ســـوريا قد تعاهدا على أن يساعد فيليب أنتيوخس فى غزو مصر وقبرص اللتين كان يحكمهما فى ذلك الوقت صبى صغير هو بطلميوس الرابع الذى كان يدعى فيلوباتور . ويساعد أنتيوخس فيليب فى الاســـتيلاء على قورينة وجزر الكيكلاديس وأيونيا) .

فى نص أبيانوس السابق نجد انه يذكر مناطق التقسيم حيث جعل مصر وقبرص من نصـــــيب أنتيوخس وجعل قورينة وجزر الكيكلاديس وأيونيا من نصـــيب فيليب ، واذا وجدنا أن أبيانوس يختلف أساسا فى ذكر اسم الملك البطلمى الذى حدث فى عهده هذا الاتفاق حيث جاء فى نصه لبس تاريخى وتفصيلات غير مؤكدة عندما ذكر أن الملك الذى حدث فى عهده هذا الاتفاق هو بطلميوس الرابع (فيلوباتور) ويبدو أنه خلط بين بطلميوس الرابع والخامس لأنه يذكر انه كان طفلا صغيرا وهذا ينطبق على الخامس لا الرابع .

اما التفصيلات التى يقدمها أبيانوس عن التقسيم فهى أيضا تدعو للشك لأنها تنص على أن تكون مصر من نصيب الملك السورى وهذا كان من المستبعد فى ذلك الوقت نظرا لأن مصر لم تكن قد وصلت الى حالة الضعف الشديد التى تجعل خصمين يتفقان على الاستيلاء عليها أو حتى تقسيمها .

مما سبق نستطيع أن نقول انه حدث بالفعل اتفاق بين سوريا ومقدونيا للاستيلاء على أملاك البطالمة وليس من المستبعد حدوث

هذا الاتفاق لو علمنا ما كانت عليه مصر من ضعف فى عهد بطلميوس الرابع حتى اننا نجد أن أنتيوخس الثالث كان قد استولى على الممتلكات المصرية فى آسيا الصغرى حتى قبل وفاة فيلوباتور(١) .

واذا علمنا كذلك انه بعد وفاة فيلوباتور وأثناء حدوث هذا الاتفاق السورى المقدونى . كان الأوصياء على العرش فى مصر قد أرسلوا الى أنتيوخس يطلبون منه احترام المعاهدة التى بينه وبين الملك السابق والد الملك الطفل .

كذلك أرسلوا الى مقدونيا يعرضون زواج أبيفانوس من احدى بنات ملك مقدونيا . وهذا النص يوضح أن القائمين بالأمور فى مصر يتوقعون حدوث اتفاق بين الطرفين أو عداء طرف منهم لذلك أرسلت السفارات للطرفين لمنع فيليب من الاتفاق مع أنتيوخس فى مهاجمة الممتلكات البطلمية(٢) .

وعلى ذلك لا نستبعد حدوث الاتفاق لكن الذى نود أن نعالجه هنا هو مناطق التقسيم وهل كانت مصر جزءا منه ؟

اذا نظرنا للوضع السياسى فى المنطقة فى ذلك الوقت نجد أن خوف أنتيوخس من فيليب جعله يتفق معه كحليف له فى اقتسام أملاك البطالمة وان كان من المستبعد أن تكون مصر من مناطق التقسيم أو أن يسمح أى طرف منهما للآخر بالاستئثار بممتلكاتها كلها(٣) أو أن يخطط أحدهما للاستيلاء على قورينة والآخر على قبرص أو يريد أحدهم أن يغزو مصر نفسها(٤) .

كذلك تخوف فيليب من أنتيوخس جعله يلعب دورا مزدوجا فقد وافق على معاهدة التقسيم من ناحية ومن ناحية أخرى رحب بمبعوث البطالمة وأبقاه فى بلاطه عاما كاملا .

لذلك بدت محاولته ساذجة اذ وعد بالتحالف مع الاثنين اجاثوكليس وأنتيوخس(٥) .

لذلك نرى أن تقسيم بوليبيوس أدعى الى التصديق خصوصا أنه لم يرد فى النصوص اللاحقة تقسيم آخر الا عند أبيفانوس ونحن نرجح تقسيم بوليبيوس لمعاصرته لتلك الفترة كذلك لما عرف عنه من درجة عالية من الدقة .

ثم أخيرا لو نظرنا الى تحركات كل من الطرفين بعد ذلك الاتفاق ، نجد أن استيلاء سوريا على أجزاء من مملكة البطالمة متفق تقريبا مع شروط المعاهدة التى يذكرها بوليبيوس فى نصه لأنه فى عام ٢٠٠ ق.م. انتصرت سوريا على مصر فى موقعة بانيون واستولت على الوادى السورى .

ولكن الذى يثير الشك هو تحركات فيليب أو فتوحاته فقد بدأ بالاستيلاء على بعض المدن المستقلة فى بحر ايجة وفى تراقيا وعلى ضفاف الدردنيل والبوسفور ولعله استولى على تلك الأجزاء لكى يبدو أمام مصر أنه لا ينوى المساس بممتلكاتها لكنه بعد ذلك استولى على ساموس وهى منطقة مذكورة فى شروط الاتفاقية بينه وبين أنتياخوس (فى نص بوليبيوس) .

كذلك حاول الاستيلاء على كاريا لأن هناك نصا لبوليبيوس يوضح أنه استولى فى كاريا على عدة مدن لم تكن من أملاك البطالمة ولكن معنى دخوله تلك المنطقة هو محاولته الاستيلاء عليها .

ورغم أن سير الحوادث بعد الاتفاقية يدل على أن تقسيم بوليبيوس هو الأصدق فانه على ما يبدو قد أخل الطرفان بالمعاهدة لانه عندما غزا فيليب برجامون سأل Zeuxis حاكم ليديا السليوقى أن يمده بالعون ولكن الأخير رفض أن يعطيه امدادات .

بقى أن نستعرض موقف روما من تلك الأحداث . لقد كانت روما فى قمة انشغالها فى حربها البونية الثانية وقد خرجت من تلك

الحرب منتصرة ولكنها منهكة بعد فترة الصراع بينها وبين قرطاجة لذلك يبدو أن الملكين السورى والمقدونى استغلا تلك الفرصة وقاما باتفاقهما بل بدآ نشـــاطهما فى بحر ايجة وعلى حدود مصــــر (وادى سوريا) .

ويبدو أن مصر رغم انها رأت حالة روما فى ارهـــاق فانها قد أرسلت للسيناتو تطلب أن تقوم روما بحماية الامبراطورية . لأن فيليب وأنتيوخس كانا قد اتفقا على تقسيمها .

«Quod iam Uhilippum et Antiochum focta inter se Pactione divisisse dicebant»

لكن يبدو أن روما ـــ حتى دون أن ترسل لها مصر تستنجد بها ـــ قد احست الخطر من توسع هاتين القوتين فى حوض البحر المتوسط لأن ذلك سوف يجعلها فى حالة من القلق والتهديد المستمر. لذلك نرى انها أرسلت بعثتها للشرق عام ٢٠٠ ق.م. وان كان فى ظاهرها أنها تعلن نبأ انتصارها على هانيبال فانها فى حقيقة الأمر كانت هذه البعثة تهديدا لتلك القوى التى فى المنطقة وبداية لفرض حمايتها ونفوذها(٦) .

* * *

وجدنا أنه فى بداية القرن الثانى قد ظهرت روما كقوة لها وزنها فى حوض البحر المتوسط بينما كانت تتضاءل مملكة البطالمة بسبب استيلاء سوريا ومقدونيا على أملاكها يســـاعدها فى ذلك الاضطرابات الداخلية فى مصر .

ورغم ظهور القوتين الكبيرتين فى الشـــرق فانه كان على ما يبدو ظهورا خاطفا لأنه منذ بداية القرن الثانى كانت قد بدأت سياسة روما المرسومة بدقة فى حوض البحر المتوسط فقد تركت

سوريا ومقدونيا تتفقان على اقتسام مملكة البطالمة وهددت مقدونيا فى البعثة التى أرسلتها للشرق عام ٢٠٠ ق٠م٠

ثم قضت على فيليب قضاء تاما فى الحرب المقدونية الثانية ثم بدأت تلك السياسة مع سوريا أيضا وذلك فى الفترة التى بدأت عام ١٩٦ ق٠م٠ حين أرسلت البعثة الى لانتيوخس الثالث فى لوسيماخيا وانتهت عام ١٨٩ ق٠م٠ حين انتهت معركة ماجنسيا وتبعتها معاهدة آباميا التى أصبح لروما بعدها الكلمة العليا فى حوض البحر المتوسط ٠

واذا كان حديثنا عن تلك البعثة لا يمس علاقات مصر مع سوريا أو علاقات مصر وروما وهما طرفا المفاوضات فى تلك المقابلة مسا مباشرا فانه لابد أن يكون لتلك البعثة أثر ولو غير مباشر على كل الممالك الموجودة فى حوض البحر المتوسط لأن روما بحربها مع أنتيوخس بعد ذلك كانت قد بدأت تلك الفترة التى أصبحت فيها هى صاحبة الأمر والنهى فى سياسة حوض البحر المتوسط ٠

ذكر عن تلك البعثة فى كتابات بوليبيوس وليفيوس وأبيانوس ٠

من دراسة النصوص فى المصادر الثلاثة نجد أن هناك تطابقا الى حد كبير (وسنذكر نصوص بوليبيوس التى نعتمد عليها فى المقام الأول ونشير الى النصوص الأخرى) ٠

يوضح نص لبوليبيوس أن سفراء روما قابلوا سفراء أنتيوخس الثالث فى أحد الأعياد وأبلغوهم رغبة روما وذلك قبل ارسال السفراء لانتيوخس نفسه حيث ذكر أنه :

(عندما انتهت الاحتمالات الكبرى تكلم أحد المبعوثين لسفراء انتيوخس ٠ أمروه أن يرفع يده عن المدن المستقلة فى آسيا والا يشن حربا (على أى منها) وأمروه أن يرد كل الذى أخذه من

بطلميوس وفيليب من قريب (وأمروه) ألا يعبر لأوروبا بأى قوة) .

النص السـابق يوضح تحذيرا صـــــريحا من روما لانتيوخس ويوضح أيضا موقف روما منه بالنسبة للمدن المستقلة وأملاك فيليب وبطلميوس . كذلك تحذيرهم له بألا يعبر الى أوربا .

وفى نفس النص يذكر بوليبيوس أن السفراء الرومان أخبروا الجانب الســـورى أن مبعوثين منهم ســـــوف يحضــــرون ليقابلوا أنتوخس .

وقابل السفراء الرومان أنتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م. أثناء فتوحاته ، وفى نص بوليبيوس نجد أن السفراء تكلموا مع أنتيوخس فى عدة نقاط فقد ناقشوا معه :

(أمر لوكيوس كورفيليوس « الملك » بأن يتراجع عن المدن التى اخذها من بطلميوس « كذلك من فيليب » الموجودة فى آسيا . حيث ان من غير المعقول أن يأتى أنتيوخس وأن يحصل على النصر الذى أحرزه الرومان من فيليب ونصــــــحه أن يرفع يده عن المدن المستقلة) .

وهذا الجزء هو الأول من حديث المبعوث الرومانى لانتيوخس ويتضح منه أنه يتكلم من منطق القوة حيث طلب منه أن يتراجع عن المدن التى استولى عليها من فيليب الخامس وبطلميوس الخامس التى كافح الرومان من أجلها كذلك نصحه أن يرفع يده عن المدن المستقلة . وواضح من الحديث أنه يحذره .

وقال له : (مدهش أنه أنتيوخس) قد حضر مع قوات كبيرة وسفن كثيرة ليعبر الى أوربا حيث أنه لم يسبق أن احدا استطاع أن يقف فى طريق الرومان) .

ويتضح من هذا النص خوف روما من أنتيوخس وشكها من

أن عبوره لأوربا معناه تهديد روما تهديدا مباشرا كذلك وضعت روما نفسها حامية لأوروبا لا ايطاليا فقط .

بعد ذلك يأتى رد الملك السليوقى على المبعوث الرومانى وفى رده أيضا تتفق المصادر فى حديثه وسنذكر نص بوليبيوس الذى نعتمد عليه فى المقام الأول .

قال أنتيوخس للمبعوث الرومانى : (بأى حق يجادلونه فى أحقيته فى ملكية المدن الآسيوية حيث أن الرومان هم آخر من له هذا الحق) .

وواضح من حديث الملك انه يتكلم بثقة :

(طلب منهم الا يشغلوا أنفسهم بأمور آسيا حيث لا يتدخل هو فى أمور ايطاليا)

وهو هنا يطلب منهم أن يكون حدود نفوذهم هى ايطاليا فقط كذلك جعل من نفسه حاميا لآسيا .

ثم قال (أنه عبر لأوربا لأنه حاكم Chelrsonese والمدن فى تراقيا) .

ومما يوضح ثقته بنفسه وبأنه يحمى المدن الآسيوية أنه قال :

(وبالنسبة للمدن المستقلة فى آسيا ليس من مصلحتهم أن يطلبوا حريتهم من روما ولكن منه هو) .

أما عن بطلميوس ملك مصر فقد قال : (وبالنسبة لعلاقته مع بطلميوس فسوف يرتب هو كل شىء بالموافقة مع هذا الملك حيث قرر ليس فقط اقامة علاقات صداقة معه ولكن سيرتبط به عائليا) .

من النصوص السابقة نستطيع أن نتبين أن مطالب المبعوثين الرومان كانت :

ـ أن يرفع أنتيوخس يده عن المدن المستقلة فى آسيا .

ـ أن يتراجع عن المدن الآسيوية التى أخذها من بطلميوس الخامس وفيليب الخامس .

ـ ألا يعبر الى أوروبا .

كذلك نجد فى رد أنتيوخس أن هناك اتفاقا فى النصوص فى :

ـ انه حضر الى آسيا ليسترد أملاكه .

ـ أنه لا يحق للرومان التدخل فى شئون آسيا مادام يتدخل هو فى أمور ايطاليا .

ـ من ناحية بطلميوس الخامس فانه على وشك المصاهرة معه (وهى المصاهرة التى تمت فيما بعد بزواج بطلميوس الخامس وكليوباترة الأولى) .

نستطيع على ضوء ما سبق أن نقول انه كانت هناك مقابلة بين البعثة الرومانية وملك سوريا أنتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م. ونستطيع أن نتبين من لهجة الحديث بين المبعوث الروماني والملك السورى أن كلا الاثنين يتكلم من منطق القوة .

وقد بدأ تخوف روما من ناحية سوريا عندما بدأت تحركات انتيوخس الثالث تزعجها وتهدد أمنها ولو استعرضنا الوضع السياسى فى تلك الفترة نجد أن روما قد أصبحت هى القوة المسيطرة فى حوض البحر المتوسط وذلك بعد قضائها على هانيبال ثم فيليب الخامس عام ١٩٧ ق.م. فى الوقت الذى تغاضت فيه عن تحركات أنتيوخس الثالث حتى لا ينحاز الى جانب فيليب الخامس ضدها .

ويبدو أن أنتيوخس قد انتهز تلك الفرصة حيث رأى فى نفسه قوة لا يستهان بها وحاول استرجاع أملاكه فى آسيا ولم يدرك تماما

أن سكوت روما كان لانشغالها فى الحرب مع مقدونيا وانها اطلقت يده فى ممتلكات البطالمة حتى تشغله عن حربها مع فيليب ولا ينحاز له ضدها وانها حتى لو تغاضت عن جميع تحركاته الا أن يهددها هى ذاتها لأنه يتضح من النصوص أن روما كانت متخوفة من أن الخطوة القادمة لانتيوخس هى بداية تدخله فى أوربا .

«Quod iam etiam in Europam omnibus navalibus terrestribus que copiis transierit»

ويتضح أن روما قد جعلت من نفسها حامية لأوروبا كلها لذلك سألته : لماذا عبر اليها بقوات كبيرة ؟

وباسترجاع أنتيوخس الثالث لوسيماخيا بعد تدميرها لتكون مقرا لابنه كما أن انتزاع مسألة حماية الرومان للحرية الاغريقية فى اليونان وانه مسئول عن حرية المدن الآسيوية(٧) . كل ذلك أزعج الرومان وجعلهم يقفون منه موقفا جديا .

وايا كان الأمر فان تلك البعثة كانت بداية النهاية لقوة سوريا فى تلك الفترة بل وجود أنتيوخس الثالث كقوة لها وزنها فى حوض البحر المتوسط لأن روما كانت قد عزمت على الخلاص نهائيا الأمن تلك القوى جميعا .

فرغم انها كانت فى فترة تهادن احداهما حتى تتخلص من اخرى فانها كانت مرحلة من مراحل نشاطها السياسى الذى استتبعته بمراحل حربية وأصبحت فيا بعد لها السيادة الكاملة على حوض البحر المتوسط .

ورغم انه أرسل اليها بعثة فى عام ١٩٤ — ١٩٣ ق.م. يطلب منها أن يكون حليفا لها فان رد السيناتو كان :

(أنه اذا كان يود أن يكون حليفا للشعب الرومانى فانه يجب أن يترك الاغريق فى آسيا أحرارا مستقلين وأن يغادر أوروبا) .

وعلى ما يبدو فان قواته كانت تضارع قوة الرومان الا أن روما كانت مصممة على أن تجهز عليه تماما . وفعلا أعلنت عليه الحرب التى انتهت عام ١٨٩ ق.م. فى موقعة ماجنسيا وتبعتها معاهدة آباميا عام ١٨٨ ق.م.(٨) التى أصبحت روما من بعدها هى سيدة البحر المتوسط كله ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تنازعها .

واذا نظرنا لموقف مصر من تلك الأحداث التى كانت فى تلك الفترة نجد أن الجميع كان يقوم بدوره ويفعل ما يريد من اتصالات وحروب دون وضع مصر فى الحسبان مما يدل على أن مصر كانت قد بلغت فعلا درجة من الضعف الشديد حتى أنها حين عرضت المساعدة على روما ضد أنتيوخس الثالث عام ١٩٢ وعام ١٩١ ق.م.(٩) . رفضت روما مساعدتها ويدلنا هذا على مقدار الضعف الذى وصلت اليه مصر .

ومن حيث سؤال المبعوثين الرومان عن مصر ورد أنتيوخس عليهم بأنه على وشك الارتباط بالمصاهرة فكأن مصر لم تعد سوى شىء يزايد عيله الطرفان دون النظر لوزنها بتاتا .

ذكرنا فى الجزء السابق انه عند التقاء أنتيوخس الثالث بالمبعوثين الرومان فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م. طلب الرومان من أنتيوخس أن يترك أملاك بطلميوس التى استولى عليها وكان من ضمن ردود أنتيوخس انه على وشك المصاهرة مع ملك مصر .. وفعلا تم هذا الزواج فيما بعد .

ونحن نعرف أن الزواج السياسى يلعب دورا مهما فى العلاقات الدبلوماسية بين الدول كذلك كان هذا الزواج الذى تم بين مصر وسوريا والذى نحن بصدد الحديث عنه وقد اكتنفه غموض من عدة

نواح نظرا للظروف السياسية التى تخللت، اتمامه والتى اجتاحت الشرق الهلينستى فى تلك الفترة الزمنية .

فمن ناحية كانت سوريا منذ وفاة بطلميوس الرابع (٢٢١ — ٢٠٥) تتأهب للاستيلاء على أملاك مصر يتفق معها فى هذا الغرض مقدونيا . ومن ناحية أخرى كانت قوة روما تزداد بشكل يهدد جميع القوى الموجودة فى حوض البحر المتوسط .

وهذا الزواج ليس هو الزواج الأول الذى تم بين أسرتى البطالمة والسليوقيين فقد كانت هناك مصاهرة قبل ذلك عام ٢٠٢ ق . م . حيث زوج بطلميوس الثانى فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٦ ق.م.) ابنته برنيكى الى أنتيوخس الثانى ملك سوريا وكان الدافع للزواج هو تسوية الخلاف حول اقليم وادى سوريا .

النصوص التى تتحدث عن هذا الزواج كثيرة ، وبما أننا نعتبر أن نصوص بولبيبوس هى المصدر الأساسى لنا نجد أنه تحدث عنه.

وتكلم عنه ليفيوس وذكره جوزيفوس وأبيانوس .

والغموض يكتنف هذا الزواج من ناحيتين :

أولا : هل سعى البلاط البطلمى لاتمام هذا الزواج لخوفهم من قوة أنتيوخس ولدرء خطره أو أن تلك كانت رغبة السليوقيين لتوطيد دعائم ملكهم واكتساب مصر الى جانبهم فى صراعهم المحتوم مع الرومان ؟

ثانيا : ماهو المهر الذى اتفق عليه الطرفان ؟ وهل كان اقليم وادى سوريا — الذى كان موضع الخلاف الدائم بين مصر وسوريا منذ تقسيم مملكة الاسكندر — والذى نعلم ان سوريا كانت قد استولت عليه منذ موقعة بانيون عام ٢٠٠ ق.م. وكان فى حوزتها عند اتمام الزواج ؟

اذا استعرضنا النصوص فى المصادر القديمة نجد أنه فى نص بولييبوس يذكر : (وأرسل « أحد الأوصياء على عرش مصر » بطلميوس بن سوسيبيوس الى فيليب لعرض مصـــاهرة وليعرض المساعدة اذا فكر أنتيوخس أن ينقض المعاهدة) .

فى هذا النص نجد أن البلاط المصرى أرسل بطلميوس بن ســــوسيبيوس الى مقدونيا لخطبة ابنة فيليب الخامس وعرض المساعدة عليه ضد أنتيوخس ويبدو أن الاسكندرية رأت انها بذلك تســـتطيع أن تكســـب مساعدة مسلحة من المقدونيين ضـــد أنتيوخس(١٠) .

ويمكننا القول أن موقف مصر الضعيف فى ذلك الوقت جعلها تبحث عن أية قوى كبرى فى الشرق تكون سندا لها خاصة أن موقف روما كان غير واضح منذ بعثة عام ٢٠٠ ق.م. حيث فقدت مصر كل أمل لها فى تدخل روما بينها وبين أنتيوخس .

وهذا النص يجعلنا نقول أن مصـــر هى التى بدأت بعرض الزواج على البلاط السورى لأنها كانت قد عرضته قبل ذلك على ملك مقدونيا كما هو واضح من هذا النص .

فى حين نجد نصا آخر لبولييبوس يوضح أن أنتيوخس ينوى الارتباط بالمصاهرة مع بطلميوس ملك مصر وسنورد نص ليفيوس المطابق له تقريبا حيث قال أنتيوخس : (وعن بطلميوس حول شكواه من أخذ المدن . هناك معاهدة صداقة مع بطلميوس نفسه وهناك ارتباط بالزواج بعد وقت قليل) .

Quod ad Ptolemaeum attineat, cui ademptas Civitates querantur, sibi cum Ptolomaeo et amicitiam esse, et id agere ut brevi etia madfinitas iungatur.

كذلك ذكر أبيانوس نفس الحديث .

وحديث أنتيوخس هذا كان ضمن ردوده على البعثة الرومانية التى قابلته عام ١٩٦ ق.م. فى لوسيماخيا حين طلب منه السفراء الرومان أن يرفع يده عن أملاك بطلميوس الخامس .

واذا كنا على ضوء هذه النصوص التى تشير الى عام ١٩٦ ق.م. لا نستطيع أن نتبين هل أنتيوخس هو الذى بدأ أولا ؟ فان نص أبيانوس يذكر أنه (عندما عزم « أنتيوخس الثالث » على اعلان الحرب ضد الرومان ارتبط عائليا بالملوك المجاورين عن طريق الزواج أرسل الى بطلميوس الخامس فى مصر كليوباترة الملقبة بالسورية . وأرسل ابنته الى أرياراتس ملك كابادوكيا والأخيرة الى يومنيس ملك برجامة ولكنه (يومنيس) قال أن (أنتيوخس) على وشك الحرب مع الرومان ولا يريد الارتباط معه بالزواج .. لذلك رفضها خوفا من أغضاب روما) .

ويذكر هذا النص أن أنتيوخس هو الذى بدأ بعرض الزواج لأنه عرض المصاهرة على ملوك آخرين ومعنى ذلك أن مشروعات زواج بناته كان خطا سياسيا اتبعه لتقوية نفسه ضد روما .

نستطيع أن نقول على ضوء ما سبق أنه عندما ارتقى بطليموس الخامس العرش وبدأت سوريا ومقدونيا فى الاستيلاء على أملاكه حاول الأوصياء على العرش تقوية النفوذ البطلمى ضد سوريا وذلك بعرض المصاهرة على ملك مقدونيا وعندما فشل مشروعهم هذا حاولوا درء خطر أنتيوخس الثالث ملك سوريا بمصاهرته حتى يأمنوا شره فلا يهاجم مصر بعد أن أصبحت ابنته تتربع على عرشها(١١) .

أما ذكر بوليبيوس أن الأوصياء على العرش فى مصـــــر قد

أرسلوا فى خطبة ابنة ملك مقدونيا بانه يبدو أن جاثوكليس عندما حاز بالوصاية على الملك الطفل (بطلميوس الخامس) قد اتبع ذلك حتى يتخلص من بعض الشخصيات التى تضر به وتسبب له المتاعب لأننا نجد أن بوليبيوس يذكر فى نفس النص أن (جاثوكليس) قد أرسل مبعوثه (بلوبس بن بلوبس) الى الملك أنتيوخس فى آسيا لحفظ الصداقة ولا يخالف المعاهدة(١٢) التى بينه وبين الملك والد الملك الطفل .

كذلك أرسل مبعوثا آخر (بطلميوس بن أجسارخوس) الى روما(١٣) .

ومما يؤكد هذا الرأى ذكر بوليبيوس فى نفس النص أيضـــا أن أجاثوكليس فعل هذا لابعاد الرجـــــال غير المرغوب فيهم عن مصـــــر .

ومن الجائز أنه كان هناك شبه اتفاق على الزواج أثناء عقد معاهدة الصلح بعد موقعة بانيون عام ٢٠٠ ق٠م٠ ولما كان موقف أنتيوخس الثالث من القوة بحيث يكون عقد الزواج أو حتى الموافقة عليه غير ذى فائدة له فى ذلك الوقت لذلك لم يبد رفضا أو موافقة .

ويبدو أن أنتيوخس كان يتوقع أن يكون موقف روما منه كموقفها السابق عام ٢٠٠ ق٠م٠ ولكن عندما بدا واضحا له أن روما تقف بجانب مصر أعلن أن هناك اتفاقا بينه وبين الملك المصرى بشأن الزواج ويبدو أنه أراد بذلك تقوية نفسه حتى يستطيع الوقوف أمام قوة روما لذلك اتبع أسلوب التحالف مع الملوك المجاورين وذلك عن طريق الارتباط بالمصاهرة كما ورد فى نص أبيانوس السابق .

ومن المحتمل أن أنتيوخس اتبع هذا الاســـــلوب عندما رأى انتصار روما على مقدونيا عام ١٩٧ ق٠م٠ فى موقعة كيلوسكفلاى

وتوقع أن صراعه مع الرومان محتوم لذلك حاول انهاء خلافاته فى الشرق لأن ارتباطه بتلك الممالك معناه أنه حتى اذا لم يقدموا له العون ضد روما فسوف يكون موقفهم محايدا وبذلك يستطيع أن يتفرغ لحربه ضد روما .

هناك حادثة لابد من ذكرها وهى أنه أثناء مقابلة الملك أنتيوخس الثالث للبعثة الرومانية فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م. جاءه نبأ كاذب بأن بطلميوس الرابع قد توفى فأبحر أنتيوخس بسفنه وجيشه للاستيلاء على مصر وقد ذكر تلك الحادثة ليفيوس وبأنوس ويذكر أبيانوس :

وجاء خبر من الخارج يفيد أن بطلميوس فيلوباتور قد توفى . فتحرك أنتيوخس الى مصر للاستيلاء على عرش مصر أثناء تغيير الحاكم .

وواضح من النص أن(١٤) أنتيوخس الثالث لو أمكن له الاستيلاء على مصر بأى وسيلة لما تهاون فى ذلك رغم تحذير الرومان له بعدم المساس بالممتلكات المصرية ويوضح أيضا أن موافقته على الزواج ربما كان لغرض فى نفسه وهو أنه بذلك يستطيع أن يخطو خطوة فى الاستيلاء على مصر ووضع يده عليها .

بقى أن نحدد تاريخ الاتفاق على الزواج بين الطرفين . نعلم أن بطلميوس الخامس (أبيفانس) قد اعتلى العرش وهو طفل صغير لا يتعدى الخمسة أو الستة الأعوام وذلك عام ٢٠٥ ق.م. ونعلم أنه توج عندما بلغ الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره . معنى ذلك أنه توج عام ١٩٧ — ١٩٦ ق.م. ومن المستبعد أن يتم زواجه الا بعد التتويج أى بلوغه سن الرشد .

نعلم كذلك أن اتفاق سوريا ومقدونيا على اقتســـــام مملكة البطالمة كان عام ٢٠٣ ـــ ٢٠٢ ق٠م وبمقتضى هذا الاتفاق استونت سوريا على الوادى السورى وهزمت مصر فى موقعة بانيون عام ٢٠٠ ق٠م ٠

وفى نفس الوقت أرسلت مصر مبعوثها لعرض الزواج على ملك مقدونيا الذى رفض المصاهرة فى الوقت الذى عقدت فيه معاهدة الصلح بعد بانيون ومن المحتمل أن المعاهدة كانت بين عامى ١٩٩ و١٩٨ ق٠م وكان مشروع الزواج ضمن مفاوضات الجانبين ولكن الاتفاق لم يتم الا عام ١٩٦ ق٠م٠ عندما تأكد أنتيوخس الثالث من دفاع روما عن بطلميوس وربما تم الزواج عام ٢٠٢ ق٠م٠(١٥) ٠

بقيت مشكلة المهر الذى حملته كليوبانرة الى زوجها فى مصر ٠ وقد ذكره بوليبيوس (والذى حدث أن أنتيوخس كان يضع يده على وادى سوريا وفينيقيا حيث هزم أنتيوخس « والد الملك الحالى » قائد بطلميوس فى موقعة بانيون ٠ ومنذ ذلك الوقت خضعت كل الاقاليم لملك سوريا) ٠

ويتحدث بوليبيوس فى هذا الجزء من كتابه عن عام ١٧٠ ـــ ١٦٨ ق٠م٠ عندما غزا أنتيوخس الرابع مصر حيث يذكر أن جنوب سوريا وفينيقيا كانتا ملكا لانتيوخس الثالث منذ موقعة بانيون ٠

وفى نص آخـــــر لبوليبيوس يذكر فيه : (أنكر « أنتيوخس الرابع » بشدة الاتفاق الذى حدث فى الاسكندرية بأن يأخذ بطلمبوس الأخير « الخامس » جزءا من أنتيوخس والد الملك « الحالى » حيث يأخذ وادى سوريا كمهر عندما تزوج كليوبانرة والدة الملك الحالى)٠

فى هذا النص يرد أنتيوخس الرابع على المفاوضين المصريين

عند مطالبتهم بالاقليم « وادى سوريا » وذلك أثناء غزوه لمصر عام ١٧٠ ــ ١٦٨ ق.م. حيث ذكر المفاوضون أن الاقليم كان مهرا لأخته عندما تزوجت الملك ابيفانس والد الملك بطلميوس فيلوميتور وقد انكر أنتيوخس الرابع أن والده أنتيوخس الثالث قد اتفق على أن يعطى وادى سوريا كمهر لأخته عند زواجها من ابيفانس .

من نصوص بوليبيوس السابقة يبدو لنا أن اقليم وادى سوريا لم يكن مهرا لكليوباترة الأولى حيث لم يذكر فى نصوصه ولكن لدينا نص لابيانوس يذكر فيه (أرسل الى بطلميوس (الخامس) فى مصر كليوباترة الملقبة بالسورية وأعطاه وادى ســوريا كمهر كى يتملق الصبى حتى يلتزم الحياد خـــلال حرب « انتيوخس الثالث » مع روما) .

ويذكر أبيانوس فى هذا النص أن مهر كليوباترة كان وادى سوريا ولكننا نأخذ رأيه بحذر شديد لأنه مصدر متأخر كذلك لما لاحظناه من عدم الدقة فى نصوصه ومن المحتمل أيضا أن رأيه فى أحيان كثيرة كان ترديدا لوجهة نظر الاسكندرية وكانت وجهة نظرهم فى تلك الفترة هى أن الاقليم كان مهرا لكليوباترة وكانوا يطالبون باستعادته ثانية من سوريا .

نص آخر متأخر أيضا لجوزيفوس الذى ذكر أنه (بعد ذلك عقد أنتيوخس الثالث معاهدة صــداقة مع بطلميوس « الخامس وأعطاه ابنته كليوباترة وأعطاه وادى سوريا وســاماريا وجوديا وفينيقيا كمهر لها وكان الدخل يقسم بين الملكين وعين رجال ليجمعوا الدخل ويعطوه للملوك) .

وأيضا لا نستطيع ان نسلم برأى جوزيفوس لأنه يعتبر مؤرخا متأخرا عن الآخرين الذين تحدثوا عن تلك الفترة كذلك فان من المحتمل

أن يكون مرددا لوجهة نظر اليهود الذين حرفوا فى التاريخ الهلينستى(١٦) .

واذا نظرنا لمشكلة المهر هذه نجدها أكثر تعقيدا من حدوث الزواج نفسه لأن سوريا لم يكن قد مر على استيلائها على اقليم وادى سوريا ست سنوات (هذا اذا اعتبرنا أن الزواج تم عام ١٩٤ — ١٩٣ ق.م.) وذلك بعد كفاح دام قرنا من الزمان ومن المستبعد أن تتنازل عنه بسهولة(١٧) خاصة أن بوليبيوس قد ذكر أن الاقليم كان خاضعا لملوك سوريا منذ عام ٢٠٠ ق.م. ، وكما ذكرنا كان يتحدث عن أحداث عام ١٧٠ — ١٦٨ ق.م(١٨) .

ومن المحتمل أن أنتيوخس كان قد وعد صهره أن يعطيه اقليم وادى سوريا كمهر(١٩) لكنه بعد ذلك رفض أن يعطيه الاقليم أو حتى دخل الاقليم(٢٠) ومن المرجح أنه أعطاه دخل الاقليم فى البداية ثم وقفه .

ونستطيع ان نقول فى مشكلة المهر هذه أنه عندما بدأت المفاوضات لعقد الزواج كان كلا الطرفين له رغبة فى اتمامه وعندما وجد الجانب المصرى أن سوريا لها رغبة أكيدة فى اتمام الزواج طالب بالاقليم كمهر لكليوباترة ولما كان انسليوقيون يحتلون فعلا ذلك الاقليم وكان فى وسعهم تفسير الاتفاق على حسب ما يرتضون حين يجد الجد وكانوا يريدون استرضاء مصر فى ذلك الوقت للاستفادة فى حالة الاشتباك مع روما فى الحرب فلا يبعد أنهم ادخلوا فى روع المفاوضين المصريين أن حصول مصر على دخل الاقليم كان يفهم منه حصولها على ملكيته فى المستقبل .. وانه ازاء رغبة أولئك المفاوضين فى عقد الصلح لم يصروا على النص صراحة(٢١) .

وتظهر هنا براعة الدبلوماسيين السوريين الذين استطاعوا اقناع الجانب الآخر بأن الاقليم سوف يئول لهم بمرور الوقت ، بذلك نستطيع أن نفسر حديث أنتيوخس الرابع برفضه ان الاقليم كان مهرا لأخته عند زواجها من بطلميوس ابيفانس .

أما ذكر جوزيفوس أن الدخل وزع بين الملكين فهو دخل كل الاقاليم التى ذكرها ولعل نصيب كليوباترة من هذا التقسيم كان دخل الوادى السورى(٢٢) .

أما رأى أبيانوس بأن المهر كان الوادى السورى فلا نستطيع أن نسلم به مع ما لاحظناه من عدم دقته ومن الجائز انه كان فعلا وجهة نظر البطالمة ورغبتهم .

بقى أن نذكر أن مصر كانت تنتظر كسبا كبيرا بهذا الزواج . لعله أنتقال ملكية الاقليم لها ولما لم يحدث وكان عليها اذا لم تساعد أنتيوخس أن تقف موقف الحياد فى الحرب بينه وبين روما . نجد أنها بدلا من مساعدته أمعنت فى مكيدته بانتقامها منه وذلك بارسالها بعثة عام ١٩٠ ق.م. لتهنئة السيناتو على هزيمة أنتيوخس وعرض المساعدة على روما(٢٣) .

وفى الفترة من عام ١٩٤ — ١٩٣ ق.م. منذ تم الزواج بين بطلميوس ابيفانس وكليوباترة الأولى الى ١٧٠ — ١٦٨ ق.م. أصاب الشرق الهلينستى ركود سياسى وذلك يرجع فى المقام الأول الى سياسة روما النشطة التى اتبعتها فى حوض البحر المتوسط فهى قد قضت على مقدونيا — ولو أنه كان قضاء مؤقتا — فى معركة كينوسكيفلاى عام ١٩٧ « الحرب المقدونية الثانية » ثم على سوريا عندما هزمتها فى معركة ماجنسيا عام ١٨٩ ق.م. واستطاعت أن توقف نشاطها الى حد كبير بمقتضى معاهدة أباميا عام ١٨٨ ق.م.

حتى ان سوريا أصبحت تخاف من أن تنتهك روما نفسها نصوص تلك المعاهدة وبدا أن سوريا قد انتهت تماما .

الا أنه فى عام ١٧٠ — ١٦٨ ق٠م٠ نرى أنه حدث انتعاش مؤقت للسياسة السورية عندما تحرك الجيش السورى لغزو مصر مرتين .

ولعل الباعث لتحرك سوريا هو استفزاز مصر أو لعله كان رغبة من سوريا بعد أن اعتلى عرشها ملك طموح وهو أنتيوخس الرابع عام ١٧٠ ق٠م٠ وذلك بعد وفاة أخيه (سليوقس الرابع)(٢٤) ولكن هناك سببا قويا آخر وهو انشغال روما فى حربها المقدونية الثالثة التى لم تنته الا عام ١٦٨ ق٠م٠

وعلى أى الأحوال فقد غزا أنتيوخس الرابع مصر مرتين الأولى عام ١٧٠ ق٠م٠ والثانية عام ١٦٨ ق٠م٠

واذا استعرضنا الحالة الداخلية فى مصر نجد أنه عندما توفى بطلميوس الخامس « ابيفانس » فى عام ١٨٠ ق٠م٠ ترك ابنين هما بطلميوس السادس وأخوه الأصغر وقد تولى العرش أكبر الاخوين سنا وهو بطلميوس السادس فيلوميتور وكان من الطبيعى أن تنشأ الخلافات بين الاخوين بسبب تولى الملك وهو ما حدث فى مصر .

ومن الجائز أن القوى الخارجية قد طمعت فى الاستيلاء على مصر مستغلة الضعف الذى أصابها نتيجة هذا الخلاف .

حديثنا عن تلك الحرب « السورية السادسة » سنتناوله من ثلاث نواح :

أولا : من الذى بدأ بالحرب ؟

ثانيا : غرض أنتيوخس من غزوه لمصر .

ثالثا : دور روما ومدى تأثيره على سير الأحداث .

ولبحث النقطة الأولى وهى : من الذى بدأ بالحرب ؟

نجد أن النصوص القديمة التى بين أيدينا تتحدث عن غزو أنتيوخس الرابع لمصر مرتين ولم تتفق على من المعتدى ؟ أو من الذى بدأ الحرب ؟(٢٥) .

ونحن لو اعتمدنا على بوليبيوس باعتباره أوثق المصادر التى تحدثت عن تلك الفترة نجده يذكر (عندما رأى أنتيوخس أن الاسكندرية تستعد للحرب(٢٦) من أجل الوادى السورى أرسل ملياجير كمبعوث الى روما وأمره أن يخبر السيناتو أن بطلميوس غير عادل فى أن يهاجمه) .

فى النص السابق نجد أن أنتيوخس أرسل مبعوثه الى روما للشكوى ليس لأن بطلميوس قد هاجمه او لأن الاسكندرية كانت تستعد للحرب وهذا يوضح أن مصر لم تبدأ بالهجوم ولكن كان فيها فقط استعدادات للحرب ضد سوريا . كذلك يتضح من النص ظهور دور روما منذ أول أشواط الصراع حيث أرسل لها الملك السورى يشكو مصر .

ولدينا نص آخر لديودور يذكر فيه : (عندما علم بطلميوس ملك مصر أن اجداده كانوا محتفظين باقليم وادى سوريا قام باستعدادات كبيرة للحرب وكان يأمل انه اذا كانت قد فقدت بحرب غير عادلة فى الماضى فانه يجب أن يستردها الآن بنفس الطريقة .

وعندما علم أنتيوخس هذا أرسل مبعوثين الى روما وأمرهم أن يطلبوا من السيناتو أن يشهد أن بطلميوس بغير وجه حق كان يريد أن يعلن الحرب .

وأرسل بطلميوس أيضا سفراء ليدافعوا عنه ويشرحوا للسيناتو أن الوادى السورى كان ملكا لأجداده وكان خضوعه لانتيوخس ضد العدل . وأوصاهم أيضا أن يعيدوا العلاقات الودية مع الرومان(٢٧) .

فى النص السابق لا نجد اشارة الى أن مصر بدأت بالهجوم ولكنها كانت تستعد فقط .

يتضح ذلك من أن بطلميوس السادس عندما أرسل سفراءه الى روما لم ينكر استعدادته أو يدعى استعداد سوريا للحرب ولكنه يبرر استعداده هو بأن استرداد الوادى السورى من حقه .

يبدو أيضا من النص أن الطرفين كانا يخشيان روما لذلك أرسل كل منهما اليها ليبرر تصرفاته أو يشكو الطرف الآخر .

واذا كان بوليبيوس معاصرا للأحداث وهذا رأيه فان ديودور يعتبر مؤرخا متأخرا ويذكر هو أيضا أن الاسكندرية كانت تستعد للحرب .

هناك نص آخر يذكره ليفيوس يذكر فيه : (كان انتيوخس يتوعد المملكة المصرية وذلك لاستخفافه بصغر سن الملك وكسل الأوصياء وانه نظرا للغموض الذى يحيط بالوادى السورى قدر أن يتخذه ذريعه للحرب دون أن تقف فى طريقه أى عقبة نظرا لانشغال الرومان بالحرب المقدونية) .

ومن أجل هذه الحرب فقد تحمس بأن يعد السيناتو بكل شىء عندما أرسل بعثته وبنفسه الى السيناتو . ولأن بطلميوس حتى ذلك الوقت كان مازال فى سن صغيرة وتحت وصاية آخرين . فقد استعد الأوصياء للحرب ضد أنتيوخس لاخضاع الوادى السورى ووعدوا الرومان بتقديم كل عون لهم فى حربهم مع مقدونيا .

وهذا النص يوضح جانبا آخر وهو أن أنتيوخس قد أعلن الحرب على مصر مستغلا صغر سن الملك (الذى كان يبلغ السابعة عشرة تقريبا) وكسل الأوصياء على العرش .

Antiochus imminebat quidem Aegypti regno, et pueritiam regis et intertiam tutorum spernens;

كذلك يوضح أن أنتيوخس قد استغل انشغال روما فى الحرب المقدونية الثالثة (١٧١ — ١٦٧ ق.م.)

(id nullo impeidmento occupatis Romanis)

ويوضح النص أيضا تسابق الطرفين لاسترضاء روما ويبدو لنا من النص كله أن سوريا قد بدأت الحرب ليس دفاعا عن نفسها كما يوضح نص بوليبيوس وديودور لكن استغلالا لظروف معينة كانت تمر بها مصر وروما .

نص آخر يذكره جوزيفوس ويذكر فيه : (.. قرر أن يسير الى مصر لأنه قد طمع فيها كذلك لاستخفافه بابنى بطلميوس اللذين كانا لايزالان ضعيفين ولم يستطيعا بعد أن يحكما المملكة الواسعة).

وهذا النص يوضح أن أنتيوخس سار للحرب ضد مصر .

ليس ردا على استفزازها له ولكن طمعا فيها واستخفافا بالملوك الموجودين فيها .

واذا كانت المصادر اليهودية قد عرفت بعدائها لانتيوخس(٢٨) فهذا لا يبرر أن انتيوخس هو الذى بدأ بالاعتداء ولم يكن موقف مصر سوى اثارة جارتها للحرب فى حين أن المبادرة الحربية كان البادىء بها أنتيوخس الرابع .

واذا أردنا الحديث عن المشـــــكلة الأولى التى تواجهنا فى دراستنا لتلك الحرب وهى — كما ذكرنا — من الذى بدأ ؟

نحن نعلم أن البيت البطلمى كان قد بدأ ضـــعيفا منذ نهاية عهد بطلميوس الرابع حتىأنه عندما توفى هذا الملك بدأت القوى الخارجية تطمع فى ممتلكاته فكانت تلك الاتفـــاقية عام (٢٠٣ ـــ ٢٠٢ ق٠م٠) بين مقدونيا وسوريا (التى ســـــبق الحديث عنها) وبمقتضـاها أتفقت مقدونيا وســـــوريا على تقســيم الامبراطروية المصـــــرية ٠

ونعلم أن مصر قد استمرت فى الضـعف حتى عهد ابنه ابيفانس وعند وفاته ترك على العرش ابنين هما بطلميوس السادس فيلوميتور وأخوه الأصـــــــغر ويبدو أن تلك الحرب التى قامت فى أوائل عهد بطلميوس السادس كانت رغبة من الطرفين فى اشعالها فمصـــــر كانت على درجة كبيرة من الضـعف ويبدو أن الأوصياء على الملك قد فكروا فى استعادة وادى سوريا ٠ هذا الاقليم الذى اشتهر بغناه وفعلا استعدوا للحرب وذلك حتى يستطيعوا كسب ولاء الجماهير ولكن أنتيوخس لم يمهلهم وبادر هو بالهجوم العسكرى(٢٩) ٠

ويبدو أن أنتيوخس قد لعب دورا دبلوماسيا غاية فى الذكاء والحكمة ساعده فى تدعيم موقفه العسكرى ٠ فقد استغل الموقف تماما منذ البداية حين أرسل مبعوثه الى مصـــــر بمناسبة بلوغ فيلوميتور سن الرشد وذلك ليتلمس الموقف السياسى حيث أن روما كانت قد أرســــــلت عنها مبعوثين للمشاركة فى الاحتفالات وكذلك لمعرفة موقف الدول المشاركة فى الاحتفال من صراعها مع مقدونيا (فى الحرب المقدونية الثالثة التى انتصرت فيها روما فى موقعة بيدنا عام ١٦٨ ق٠م٠) ٠

ويبدو أن سفير سوريا قد قابل ســـفراء روما ووعدهم بأن تساعد سوريا روما فى حربها المقبلة ضد.برسيوس على أن تغض روما الطرف عندما يهاجم أنتيوخس الرابع مصر ٠

بعد ذلك استفادت سوريا من سذاجة الأوصياء على عرش مصر ومحاولتهم تدعيم موقفهم الضعيف فى مصر باشـــــاعة أنهم لا يسترجعون وادى سوريا المفقود فقط ولكن أيضا الاستيلاء على مملكة أنتيوخس كلها .

وبدأ بعد ذلك ارسال الرسل الى روما لتذكيرهم بوعدهم القديم لمساعدة روما ضد مقدونيا ومعرفة موقف روما من شكاوى مصر . ثم أخيرا عندما وجدت أن روما مشغولة تماما بالحرب مع مقدونيا ولن تســـتطيع الدفاع عن مصـــــر بادر أنتيوخس بالعدوان على مصـــــر(٣٠) .

النقطة الثانية : ماذا كان غرض أنتيوخس من تلك الحرب ؟ وهل كان يريد استتباب الأمن فى مصر وان العرش لأكبر الأخوين كما كان يدعى أو كان يرغب فى الاستيلاء على مصر ووضعها تحت النفوذ السليوقى أو حتى يفرض حمايته عليها ؟

لو تتبعنا ما قام به أنتيوخس أثناء غزوه لمصر نجد أنه زحفه من سوريا واستطاع أن يهزم الجيش المصرى الذى احتشد لمهاجمة الجيش السورى لأن بوليبيوس يذكر أن نتيوخس قد احتل مصر .

كذلك يذكر جوزيفوس أن (أنتيوخس) قد اســـــتولى عنى بلوزيون .

ويحدثنا بوليبيوس أن الملك فيلوميتور قد هرب الى ساموتراقية وذلك بتأثير الوصى يولايوس الذى نصحه أن يأخذ كل أمواله ويترك مملكته للاعداء .

ويبدو أن أنتيوخس قد عقد اتفاقا مع فيلوميتور ومن المؤكد أن هذا الاتفاق كان يخدم مصالح أنتيوخس لأننا نجد أنه يدافع عن فيلوميتور ويدعى أنه حضر لتأييده والمطالبة بان يؤول العرش له وذلك بعد أن تركه فى ممفيس .

(وترك فى ممفيس بطلميوس الأكبر الذى ادعى (أنتيوخس) انه طلب معونة جيشه فى المطالبة بالعرش لذلك يجب أن يهاجم المنتصر فى الحال ويعود بجيشه الى سوريا) .

(relicto Memphi maiote Ptolemaeo, Cui regnum queri suis viribus Simulabat, ut victorelm mox adgrederetur in Syriam exercitum abduxit.)

على أى الأحوال فان أنتيوخس ترك بطلميوس فيلومبتور فى ممفيس وزحف الى العاصمة بحجة اقامة الملك الشرعى على العرش وقابله سفراء يونانيون كانوا فى الاسكندرية فى ذلك الوقت وأرسلهم بطلميوس الصغير والأوصياء ليتفاوضوا من أجل السلام .

وكما يحدثنا بوليبيوس كان هذا القرار أول أعمال بطلميوس الصغير هو والأوصياء يومانوس وكينياس اللذين توليا الوصاية بعد بولايوس ولينايوس اللذين كانا السبب فى تلك الحرب وقد أرسل بطلميوس الصغير والوصيان تلك البعثة بعد أن بلغهم أن أنتيوخس فى طريقه الى الاسكندرية وانه سوف يحاصرها ويلقى القبض على الملك بطلميوس .

ويذكر بوليبيوس أن الملك بطلميوس أرسل مع هؤلاء السفراء كلا من ثلبوليموس وبطلميوس مدرسى البلاغة لينوبا عنه فى مفاوضات الصلح .

ولكن أنتيوخس كان من الدهاء بحيث استمع لهم ولم يتحدث معهم حول ما حضروا من أجله ولكن تحدث عن أن الوادى السورى كان ملكا لأجداده ولم يكن مهرا لأخته عندما تزوجت بطلميوس الخامس ابيفانس والد الملك الحالى .

ويجدر بنا أن نذكر أن أنتيوخس الرابع أثناء مقابلته لهؤلاء

السفراء وقف موقفا دبلوماسيا غاية فى الذكاء وهو أنه حول نفسه من موقف المهاجم الى موقف المدافع الذى يذود عن أملاكه وينكر أن لخصمه أى حق فى ذلك حتى يستطيع أن يكسب جانب الوسطاء كذلك لم (يعد هؤلاء الوسطاء بشىء ولكنه كما يذكر ليفيوس تابع زحفه الى الاسكندرية فى الوقت الذى كان فيه الأسطول السورى قد انتصر فى بوزيون فأقام جسرا على النيل وعبر مع جيشه وحاصر الاسكندرية نفسها .

وواضح من حديث ليفيوس ادعاء أنتيوخس الرابع بانه يؤيد حقوق الملك الشرعى فى اعادة بطلميوس الأكبر (فيلوميتور) الى الحكم .

Per hoestam specim maioris Ptolemaei reducendi in regnum

وأثناء حصار أنتيوخس الاسكندرية جاءت بعثة من رودس وكانت تأمل التوفيق بين الطرفين وأيضا كان رد أنتيوخس أنه جاء لتأييد أكبر الاخوين ويذكر بوليبيوس أن أنتيوخس قاطع خطيبه وأخبره أنه ليس هناك داع لالقاء الخطب وان المملكة ملك لأكبر الأخوين الذى تربطه به علاقات قديمة وكان صديقا له واذا رغب الاسكندريون فى اعادته فلن يمانع هو (أنتيوخس) فى ذلك .

ومن المؤكد أن أنتيوخس كان قد علم بتنصيب الاسكندريين لبطلميوس الصغير ملكا ومن ثم وجد تلك الحجة لتعليل هجومه على مصر وهى انه يؤيد الملك الشرعى ويدافع عن حقه فى رجوعه للعرش ومما هو جدير بالذكر اننا لا نستطيع أن نقول انه كان هناك خلاف أو منازعات أسرية قد بدأت بين الأخوين وأن تنصيب بطلميوس الصغير على العرش لم يكن نتيجة للشجار الأسرى ولكن كان لحاجة

ملحة وهى وجود العرش فى الاسكندرية شاغرا بعد أن استطاع أنتيوخس القبض على فيلوميتور واحتجازه فى ممفيس فاضطر الاسكندريون الى تنصيب الأخ الأصغر .

انسحب أنتيوخس الى سوريا بعد أن ترك بطلميوس الاكبر فى ممفيس .

Relicto Memphi maiore Ptolemaec

كذلك ترك حامية فى بلوزيون .

Polusii validum relietum erat praesidium.

ويبدو أن أنتيوخس كان مطمئنا نفسه أن شقاق الأخوين سيمهد له السبيل لغزو مصر مرة ثانية ولكن الذى حدث أن فيلوميتور حضر من ممفيس الى الاسكندرية ليشارك أخاه الأصغر فى العرش .

وكان ذلك سببا فى تحول سياسة أنتيوخس التى تعتمد على المحاورة والدهاء الى مهاجمة مصر عام ١٦٨ ق.م. بدون أى تعليل أو اختلاق حجج واهية فقد استولى على قبرص وذلك قبل أن يغزو مصر .

Cyptrum extemplo classem misit (٣١)

(أرسل أسطولا الى قبرص للاستيلاء عليها) .

وفى هذه المرة قابلته بعثة موفدة من فيلوميتور وذلك قبل دخوله مصر وشكرته على اعادته للعرش واستفسرت منه عن سبب غزوه لمصر .

Ptolemaei legatis agentibus gratias, quod per eum regnum patriun recepisset, petentibusque ut suum munus tueretur et direret potius quid fierd vellet quam hostis ex socio factus vi atque armis ageret.

وكان الغرض من ارسال البعثة الى أنتيوخس باسم بطلميوس فيلوميتور هو اثبات حسن النية من الجانب المصرى لانها نفذت ما يريده أنتيوخس وعاد فيلوميتور الى الحكم ولكن أنتيوخس كان صريحا فى تلك المرة فقال انه لن يسحب قواته الا اذا أعطى قبرص وبلوزيون والاقليم المجاور لفرع النيل البلوزى .

Nisi sibi et tota Cypro et pelusio agroque, qui circa Pelusiacum ostium Nili esset, cederetur.

وحدد أنتيوخس مدة معينة يتم فيها ما يريد .

diemque praestituit intra quam de condicionibus peractis responsum acciperet.

وبالطبع لم تستجب مصر لتهديداته فزحف بجيشه الى ممفيس ومنها الى الاسكندرية حيث كانت روما قد بدأت خطواتها العملية لانقاذ مصر من الاحتلال السليوقى فأرسلت البعثة التى اعترضته واجبرته على الانسحاب من مصر .

من الواضح أن تلك الحرب التى قامت بين سوريا ومصر عام ١٧٠ — ١٦٨ ق.م. كانت بين طرفين غير متكافئين نهائيا .

فمن ناحية كان أنتيوخس الرابع (ابيفانس) الذى تدل سياسته فى تلك الحرب على شخصية تتمتع بقدر كبير من المكر والدهاء وسعة الحيلة .

ومن ناحية أخرى كان بطلميوس فيلوميتور الذى كان صغر سنه وعدم ادراكه وقلة حيلته سببا فى أن يسيطر على مقاليد الحكم أوصياء جعلوا من أحلامهم الشخصية تصرفات جلبت على مصر ويلات حرب كانت فى غنى عنها لأنها فضلا عن انهاك اقتصادها

وتشويه صورة الحكم فى نظر الرعية(٣٢) كانت سببا فى ربط مصر بعجلة السياسة الرومانية فى السنين اللاحقة .

ولو كان أنتيوخس يدافع عن نفسه فقط لظلت قواته على الحدود السورية ولم تتعدها لتغزو مصر وتصل الى الاسكندرية . لقد استطاع أنتيوخس أن يدير دفة الحرب لصالحه منذ أول شوط من أشواط الصراع عندما القى القبض على الملك البطلمى وهو يحاول الهرب بعد هزيمته واستطاع أن يفرض عليه حمايته مستغلا فى ذلك صلة القرابة التى تربطهما ، وهو الذى كان من الأولى أن يراعى تلك الصلة ولا يعتدى على مصر .

وتحولت مصر بذلك من موقف المهاجم الذى لا يريد أن يسترجع أملاكه المسلوبة فقط ولكن الاستيلاء على مملكة السليوقيين الى مدافع لا يستطيع أن يصد هجمات الغزاة الا بالاستعانة بقوة أخرى عملت منذ البداية على اشعال الحرب وساعدت على استمرارها حتى تخدم مصالحها .

لقد استغل أنتيوخس الرابع انشغال روما بحربها المقدونية الثالثة (١٧١ — ١٦٨ ق.م.) وبدأ سياسته بأن وعدها العون لها فى تلك الحرب ومن المؤكد أن مبعوثيه لدى روما والمبعوثين الذين قابلوا المبعوثين الرومان فى الاسكندرية أثناء الاحتفالات بتنصيب الملك بطلميوس فيلوميتور قد أشاروا بطرق غير مباشرة الى أنهم سوف يساعدون روما فى الحرب ضد مقدونيا على أن تغض هى بصرها عن تحركات سوريا تجاه مصر .

ويؤكد هذا حديث بوليبيوس الذى يذكر أن أنتيوخس أرسل الأموال الى روما والمدن اليونانية وذلك بعد غزوه لمصر ، ومنذ البداية كان واضحا دور أنتيوخس السياسى فانه بعد هجومه على

مصر واحتلاله أجزاء منها يرسل الى روما للشكوى من أن بطلميوس يهاجمه .

وكان واضحا أن تلك السفارة أرسلت لمراقبة المبعوثين الذين أرسلوا من قبل ملك مصر للشكوى من هجوم أنتيوخس كذلك كانت لمعرفة اتجاه السياسة الرومانية . وكانت مقابلته للسفراء اليونانيين الذين قاموا بدور الوساطة بينه وبين بطلميوس فليوميتور الذى أحسن استقابلهم واستطاع بسياسته أن يصرفهم عن غرضهم الذى أتوا من أجله ويتحدث معهم عن حقوقه على الوادى السورى ثم ادعائه بأنه ما جاء الا لتأييد الملك الشرعى وأنه بعد تنصيبه على عرشه سوف يعود الى سوريا .

ولم تقتصر سياسة أنتيوخس على روما وبلاد اليونان فقط ولكنه حاول كسب جانب الاغريق فى مصر فذهب الى نقراطيس — وذلك أثناء وجود سفراء المدن اليونانية فى معسكره — ووهب كل فرد قطعة ذهبية وهذا يدل على سياسة بعيدة النظر فهو يسترضى الاغريق فى نقراطيس لأنها أول مدينة انشئت فى مصر .

ولعل غزو أنتيوخس الرابع لمصر كان لتأديبها ومحاولته أن يثبت لها أن أية محاولة منها لغزو الوادى السورى سوف يكون نتيجتها الفشل وذلك بعد أن رأى استعدادات مصر لاسترداد هذا الجزء .

ولكن الأرجح أن أنتيوخس رأى ضعف الملوك فى مصر وتوسم فيهم الشقاق الدائم ورأى أن يوسع مملكته باستيلائه على مصر نفسها أو حتى وضعها تحت نفوذه السليوقى حتى لا تستطيع أن تتوسع أكثر مما هى عليه .

ويبدو أن أنتيوخس كان يريد أن يحتل مصر فى أثناء غزوه لها فى المرة الأولى ولكن ظـروفه هى التى منعتـه . وأيا كانت الأسباب التى دعته للعودة الى وطنه وهو فى موقف المنتصر فانـه كان على أمل أن الشقاق بين الأخوين سيمهد له السبيل فى العودة وحين رأى اتفاق الأخوين ضده عند قيامه بالغزوة الثانية عبر عن رغبته صراحة فقد احتل قبرص قبل أن يغزو مصر وقال صراحة لسفراء فيلوميتور أنه لن يسحب قواته الا اذا أعطى قبرص وبلوزيون والاقليم البلوزى .

ومما يؤكد أن أنتيوخس كان فعلا يريد الاستيلاء على مصـر اصداره عمله كتبت على ظهرها .

« BAΣIΛEΩΣ ANTIOXOY ΘEOY EΠIΦAOYΣ »

كذلك تتويجه فى مصر فرعونا كالملوك المصريين فى ممفيس .

Porco Antiochus parcens puero et amicitias simulans ascendit Memphim, et ibi ex more Aegypti, regnum accipiens;

وواضح أن هذا مخالف لما ادعاه من اعانته للملك بطلميوس فيلميتور لانه بدا فى ممفيس كالغزاة(٣٣) وهذا يؤكد رغبته فى احتلال مصر .

ثم كان القرار الذى أصدره أنتيوخس الى الكليروخوى فى كروكوديلوبولس وذلك عام ١٧٠ ــ ١٦٩ ق.م. أى أثناء غزوه لمصر فى المرة الأولى .

وهذا يؤكد انه يعتبر نفسه ملكا لمصر .

بقى أن نستعرض موقف روما من تلك الأحداث(٣٤) .

مما عرف عن الدهاء والمكر السياسى ألذى يتمتع به الرومان نستطيع أن نقول أن روما ولو أنها لم تكن السبب الرئيسى فى قيام تلك الحرب فانها ساعدت على اشعالها . ولتوضيح ذلك نقول انه فى الفترة من عام ١٧١ الى ١٦٨ ق٠م٠ كانت روما مشتبكة مع برسيوس ملك مقدونيا فى حربها المقدونية الثالثة .

وبالطبع كان من صالحها أن تكون تلك القوى الموجودة فى شرق البحر المتوسط بعيدة عن ميدان الصراع الا فى حالة واحدة وهى مساعدتها ضد مقدونيا ومن هنا كانت سياسة روما التى اعتمدت على ركيزتين :

أولا : تشجيع أنتيوخس الرابع على غزو مصر وفى تلك الحالة تضمن القضاء على قوة سوريا ومصر فتنهار قواهما الاقتصادية فضلا عن ابعادهما عن الحرب المقدونية .

ثانيا : عدم السماح لانتيوخس فى التوسع أو الغزو الا لدرجة لا تسبب خطرا لها ولا تضر حالة التوازن التى حافظت روما عليها وذلك بقيام قوة جديدة تحت حكم السليوقيين فى شرق البحر المتوسط .

لذلك نجد سياسة روما منذ أول الأمر تعتمد على كسب الطرفين الى جانبها وضمان عدم مساعدتهم لمقدونيا فأرسلت بعثة الى الاسكندرية عام ١٧٣ ق٠م٠ لتجديد الصداقة معها .

وفى عام ١٧٢ ق٠م أرسلت الى كل من مصر وسوريا لتطمئن على موقفها من الحرب المقدونية . وعندما غزا أنتيوخس مصر فى المرة الأولى عام ١٧٠ ق٠م٠ — وكانت روما لم تفرغ من حربها — وأرسل بطلميوس الصغير وزوجته سفراء الى روما للشكوى من اعتداء أنتيوخس وادعائه اعادة العرش لبطلميوس الكبير .

كذلك عندما أرسلت سوريا ومصر بعثات دبلوماسية الى روما لشرح أن الطرف الآخر هو السبب فى الحرب لم تحاول روما أن تتدخل سوى أنها عهدت لمندوب رومانى لبحث تلك الشكوى وتركتها معلقة بدون حل .

وبالطبع كان خطرا على روما وجود قوة كبيرة فى حوض البحر المتوسط تحت حكم السليوقيين(٣٥) لذلك عندما تأكدت من انتصارها فى الحرب الدائرة بينها وبين مقدونيا سارعت لنجدة مصر وأوقفت الزحف السليوقى وذلك بالبعثة التى أرسلتها لمقابلة أنتيوخس عند دخوله الاسكندرية وأملت عليه مطالبها بالانسحاب من مصر وقبرص .

ومما هو جدير بالذكر انه لولا تأكد أنتيوخس الرابع من هزيمة روما فى حربها مع مقدونيا لما تقدم لغزو مصر كذلك لولا تأكده أخيرا من انتصارها على مقدونيا لما امتثل لتهديدات الرومان بتلك الصورة المخزية وعلى ذلك أنقذ الرومان مملكة البطالمة بعد أن كانت على وشك النهاية .

شىء آخر يستحق الذكر وهو محاولة كل من سوريا وروما فرض حمايتها على مصر وهذا بوضح انها أصبحت فى موقف ضعيف جدا وانها دخلت دائرة التبعية للأجانب بصورة واضحة وأن الظروف قد ساعدت روما فى فرض حمايتها على مصر وأصبح الحكام فى مصر يشعرون انهم لا يستطيعون التحرك سواء داخليا أو خارجيا الا بمساعدة روما .

ليس هناك شىء يذكر فى علاقات مصر وسوريا بعد غزو أنتيوخس الرابع سوى محاولة فيلوميتور الاستيلاء على الوادى السورى واسترجاعه مستغلا فى ذلك الخلافات الداخلية فى سوريا ولكنه قتل فى ميدان الحرب عام ١٤٥ ق.م.

هـــــوامش

(١) Bevan, History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty P.254.

ملحوظة :

هل نستطيع أن نقول أن كل طرف منهما اقتنع مؤقتا باقتسام أملاك البطالمة ولكنه يود ويعمل على الاستئثار بها لنفسه لأنه لو نظرنا لانتيوخس نجد أن أملاكه التى كان يعتبرها ارثا له من أجداده كانت تقع بجوار المناطق التي ســـمح بأن يستولى عليها فيليب طبقا لنصوص المعاهدة .

(٢) Bevan, House of Seleucus, II, P. 31.

(٣) يذكر د . نصحى ص ١٦٩ أن كلا من الطرفين كان يطمع فى أن يستأثر هو بممتلكات مصر ولكنهما اقتنعا مؤقتا باقتسامها .

(٤) Magie, D. The Agreement. Between Philip V and Antiochus III for the partition of the Egypt. Empire J.R.S. xxxlx 1939, P. 33.

(٥) Oolleaux, C.A.H. VIII P. 150 — 51

(٦) سيأتى ذكر تلك البعثة بالتفصيل عند الحديث عن العلاقات المصرية الرومـــــانية .

(٧) Bevan, House of Seleucus, II, P. 51.

(٨) سيأتى ذكرها فى الحديث عن علاقات مصر وروما .

(٩) سيأتى ذكر تلك البعثات فى الحديث عن العلاقات المصرية الرومانية .

(١٠) Holleaux, Rome, La Gréce et les Monarchies Hellénstiques P. 78.

(١١) د . العبادى مصر من الاسكندر الأكبر الى الفتح العربى ص ٨٧ .

(١٢) وهى معاهدة الصلح التى تمت بعد هزيمة مصر فى موقعة بانيون عام ٢٠٠ ق.م .

(١٣) يذكر Holleaux P. 72 أن مهمة تلك البعثة كانت لاعلان نبأ اعتلاء ابيفانس للعرش وطلب المساعدة من السيناتو لصالح الملك الصغير اذا تحرك أنتيوخس ضد مصر .

(١٤) النص المذكور لابيانوس يذكر فيه أن بطلميوس هو الرابع فيلوباتور ولكن تلك الأحداث تنطبق على عهد بطلميوس الخامس ابيفانس ويؤيد ذلك نص ليفيوس (xxx111, 41) الذى يذكر الحوادث مطابقة تماما فترة حكم بطلميوس الخامس .

(١٥) يذكر Elgood P.G. The Utolemies of Egypt P. 119. أن الزواج تم فى ربيع عام ٢٠٢ ق.م.

(١٦) Bouche — Leclerq, Histoire Ded lagidec, I PP. 284 — 6.

(١٧) Bevan History of Egypt Under Ptolemaic Dynosty P. 271.

(١٨) يذكر Bouche lecherq, Histoire des lagides, IP. 284 أن أنتيوخس كان يريد القضاء على مصر ولذلك زوج ابنته لبطلميوس أبيفانوس وكان المهر هو الشرك الذى قدموه لمصر وجعل الاسكندرية توافق على هذا الزواج ولكننا لا نستطيع أن نؤيد هذا الرأى لأن مصر لم تكن تنتظر ما يغريها حتى توافق على الزواج اذ انها كانت قد عرضته على مقدونيا فى وقت سابق .

(١٩) Holleaux, C.A.H., VIII P. 199.

(٢٠) Bouche-leclerq, IPP. 284 — 6.

(٢١) د . نصحى ص ١٨٧

(٢٢) يذكر Bevan, History of Egypt Under The Btlomaic Dynst, P. 271.

أن انتيوخس وافق على أن يخصص لابنته دخل اقليم وادى سوريا أو بعض الاقاليم (تجمعه حكومته) ويضيف راى جوزيفوس أن دخل الاقاليم كان يقسم بين الملكين ويتساءل من هما الملكين ؟ هل يعنى جوزيفوس بطلميوس وأنتيوخس ؟

وليس هنا مجال للتساؤل Bevan عمن هما الملكان اللذان يقصدهما جوزيفوس فمن الواضح انهما ملكا مصر وسوريا لأنه بعد الزواج بكليوباترة من من ملك مصر يصبح وضعها الطبيعى أنها فى جانب زوجها وحدة واحدة ومن ثم كان دخل الاقاليم ينقسم بين والدها من ناحية وهى وزوجها من ناحية أخرى .

(٢٣) سيأتى الحديث عن تلك البعثة التى ارسلت من مصر الى روما عام ١٩٠ ق.م. بالتفصيل وذلك الحديث عن العلاقات المصرية الرومانية .

(٢٤) Bevan. History of Egypt Under Ptolemaic Dynasty P. 283.

(٢٥) د . نصحى . تاريخ مصر فى عهد البطالمة ص ٢٠٣ الجزء الأول

(٢٦) عندما احتفلت الاسكندرية ببلوغ الملك بطلميوس السادس سن الرشد عام ١٧٥ ق.م. أرسل أنتيوخس الرابع أبولنيوس الى مصر للمشاركة فى الاحتفال والمعروف أن ارسال السفراء فى مثل تلك الاحتفالات كان للوقوف على النوايا السياسية للدول الأخرى ويبدو أن أبولنيوس استطاع أن يعرف من الموقف عامة أن مصر تستعد لغزو سوريا .

(٢٧) كانت روما قد أرسلت الى مصر سفارة عام ١٧٣ ق.م. لتجديد الصداقة مع مصر ويبدو أن من مهام تلك البعثة التى ارسلها بطلميوس السادس الى روما هو ابلاغ الرومان بقبول العلاقات الودية معهم . ويبدو أن ذلك معناه ان مصر سوف تقف مع روما فى صراعها المقبل ضد برسيوس ملك مقدونيا مقابل أن تقف روما الى جانب مصر عند غزوها لسوريا ويذكر بوليبيوس أيضا أن من أهداف تلك السفارة تجديد الصداقة مع روما ومراقبة ملياجروس السفير السورى فى روما .

(٢٨) د . نصحى ص ٢٠٣ .

(٢٩) Bevan, History of Egypt Under Ptolemaic Dynasty P. 284.

د . مصطفى العبادى مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ص ٨٦ .

(٣٠) من الواضح أن أنتيوخس الرابع عند غزوه لمصر عام ١٧٠ — ١٦٨ ق.م. كان يستغل انشغال روما بحربها مع مقدونيا . ولنا هنا أن نقارن موقفه هذا بموقف سلفه أنتيوخس الثالث عندما زحف للاستيلاء على أملاك البطالمة ومقدونيا مستغلا انشغال روما فى حربها المقدونية الثانية ولم يوقفه عن توسعه سوى ارسال روما له البعثة عام ١٩٦ ق.م. مى لوسيماخيا واعلانها الحرب التى قضت عليه فى موقعة ماجنسيا عام ١٨٩ ق.م. واستطاعت أن توقف نشاطه تماما بمقتضى معاهدة اباميا عام ١٨٨ ق.م. وحدث نفس الشىء عندما قرر أنتيوخس الرابع (الابن) غزو مصر وتصدت له روما .

(٣١) كذلك يذكر بولبيوس أثناء حديثه عن البعثة الرومانية التى حضرت لاجلاء أنتيوخس عن مصر أن البعثة ذهبت لقبرص لاخراج القوات السورية من الجزيرة ومعنى ذلك أن أنتيوخس كان قد استولى عليها من قبل .

(٣٢) لأن الاسكندريين قاموا بتنصيب الأخ الأصغر عندما وجدوا أن العرش فى الاسكندرية شاغر ويبدو أن تلك هى المرة الأولى التى يقوم فيها الشعب فى الاسكندرية بتنصيب الملك .

(٣٣) لدينا نص يرجع الى عام ١٦٤ ق.م يتحدث عن العام الثانى لحكم يورجتيس (الثانى) اى عام ١٦٨ ق.م وهو تاريخ غزو أنتيوخس الرابع لمصر فى المرة الثانية . ويشير النص الى أعمال تخريب قام بها رجال أنتيوخس بأحد المعـــابد .

وهذا النص يؤكد بطلان ادعاء أنتيوخس انه جاء لحماية الملك الشرعى .

(٣٤) سوف نتحدث عن موقف روما بايجاز على أن نتعرض له بالتفصيل عند الحديث عن العلاقات المصرية الرومانية .

(٣٥) Bevah, C.A.H. VIII, P. 505.

* * *

العلاقات المصرية الرومانية

فى القرن الثانى والأول قبل الميلاد . ظهرت قوة روما واستطاعت أن تتفوق على كل القوى الموجودة فى حوض البحر المتوسط واستطاعت كذلك أن تبث الشعور بعدم الأمان فى جميع الممالك الهلينستية(١) .

وترجع العلاقات بين مصر وروما الى أوائل القرن الثالث فى عهد بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٣ ــ ٢٤٥ ق.م.) ويبدو أن أول سفارة أرسلت من مصر الى روما كانت فى عام ٢٨٣ ق.م. أثناء حرب روما مع بيروس ملك ابيروس وكانت تلك السفارة لعقد الصداقة بين البيت البطلمى وروما(٢) .

ونعلم أن عصر فيلادلفوس كان أزهى عصور البطالمة حيث بلغت فيه مملكتهم أوج عظمتها فى المجال الخارجى لذلك نرجح أن تلك السفارة كانت ردا على سفارة أرسلتها روما الى مصر لطلب مساعدتها فى حربها ضد بيروس لما يعرف عن غنى مصر بالغلال . ومن الجائز أن تلك السفارة كانت لعقد معاهدة اقتصادية بين مصر وروما(٣) .

وفى عام ٢٦٤ ق.م. عندما بدأت الحرب البونية الأولى بين روما وقرطاجة أرسلت قرطاجة فى طلب المساعدة من جميع جيرانها الافريقيين ومنهم مصـــر ورفض البلاط البطلمى التورط فى عداء روما وعرض تقديم وساطته اذا لزم الأمر(٤) . وهذا التصرف من جانب مصر يوضح أن علاقتها مع روما كانت طيبة لذلك لم تساند غريمتها .

نجد بردية ترجع الى عام ٢٥٢ — ٢٥١ ق.م. اى الى عهد بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٣ — ٢٤٥ ق.م.) تشير الى أن شخصا رومانيا قد عمل كجندى فى جيش بطلميوس فيلادلفوس . وهذا دليل على أن العلاقات بين مصر وروما قد اتخذت مظهرا سياسيا فضلا عن العلاقات الاقتصادية .

فى نهاية عهد بطلميوس فيلوباتيور (٢٢١ — ٢٠٣ ق.م.) أرسلت روما فيما بين عامى ٢١٥ و ٢١٠ ق.م. فى طلب المساعدة من مصر وتلك أول سفارة موثوق بهـــا ويذكرها بوليبيوس حيث يقول : (أرسل الرومان مبعوثين الى بطلميوس ليطلبوا امدادات من القمح) .

ولثقتنا فى رواية بوليبيوس للأحداث نستطيع أن نقول أن تلك السفارة صحيحة يؤيد ذلك ما نعرفه عن الحالة السيئة التى كانت عليها روما .. فقد كانت الحرب البونية الثانية (٢١٨ — ٢٠٢ق.م.) دائرة بين روما وقرطاجة وكان هانيبال مكتسحا الأراضى الايطالية ومن المحتمل أن جيوشه قد خربت الأراضى فى ايطاليا(٥) لذلك اجتاحتها المجاعة فأرسلت تطلب امدادات من القمح من مصـــر . ولا نعلم ماذا كان رد البلاط البطلمى(٦) .

ولكن المرجح أن بطلميوس فيلوباتور قد أجاب روما الى طلبها

لأننا نجد أن روما بعد الانتهاء من تلك الحرب ترسل سفارة الى مصر لشكرها على مساعدتها لها فى حربها ضد هانيبال(٧) .

فى عام ٢٠٢ ق٠م٠ خرجت روما منتصرة على هانيبال فى حربها البونية الثانية وهو الذى استطاع أن يؤرقها ويبث الرعب فى قلوب الايطاليين جميعا قرابة الخمس عشرة سنة خصوصا بعد أن نصب خيامه على بعد عدة أميال من روما نفسها .

ورغم خروج روما منهكة من حربها تلك فانها بدأت تحركات دبلوماسية نشطة وذلك يرجع للظروف السياسية التى آحاطت بحوض البحر المتوسط فقد كان اتفاق سوريا ومقدونيا على تقسيم امبراطورية البطالمة بعد وفاة بطلميوس الرابع فيلوباتور (٢٢١ ــ ٢٠٣ ق٠م٠)(٨) الذى بدأت كل منهما بعده فى الاستيلاء على ما تستطيع الحصول عليه من أملاك الملك الطفل ابيفانس . واستطاعت سوريا أن تحصل على الوادى السورى عام ٢٠٢ ق٠م٠ ثم غزوه عام ٢٠١ ق٠م٠(٩) .

واستطاع فيليب عام ٢٠٢ ق٠م٠ أن يطرد القوات المصرية من تراقيا وغاليبولى ويقيم بدلا منها النفوذ المقدونى وفى عام ٢٠١ ق٠م٠ استولى أسطوله على ساموس وفتح كاريا وفى نهاية العام اصبحت افسوس هى الجزء الوحيد الذى بقى تابعا لامبراطورية البطالمة على الشاطىء الشرقى لبحر ايجة(١٠) .

ويبدو أن روما لم تقلق من فتوحات أنتيوخس بالقدر الذى أقلقها من توسعات فيليب فى بحر ايجة وخوفها من تزايد قوته خصوصا بعد أن رأت تحالفه مع قرطاجة ضدها .

واذا كانت روما لم تتدخل فى الاتفاقية التى كانت بين سوريا ومقدونيا لأنها لم تكن قد تأكدت بعد من انتصارها على هانيبال أو

الأرجح أنه كان فى صالحها انشغال القوى الثلاث التي فى حوض البحر المتوسط حتى لا تنحاز أى منها لقرطاجة فيكون القضاء عليها ولذلك تركت الخصمين يتصارعان على أملاك مصر .

ولكنها لما رأت ــ بعد الاتفاق ــ أن خطر فيليب يتزايد حتى أنه دخل فى حرب مع حليفتيها رودس وبرجامة ووجدت نفسها تقضى على عدو خطر هو هانيبال ليظهر لها عدو آخر هو حليفه فيليب لم تتوان فى أن تبدأ سياستها النشطة كبداية لانتقامها من فيليب جزاء مساعدته لهانيبال وتأكيدا لوجودها فى حوض البحر المتوسط فأرسلت تلك البعثة التى سوف نتحدث عنها .

ذكرت تلك البعثة فى كتابات بوليبيوس وليفيوس وهما مصدران نستطيع الاعتماد عليهما .

يذكر بوليبيوس (وقابل « المبعوث الرومانى » الملك بالقرب من أبيدوس وأخبره أن السيناتو يطلب منه الا يشن حربا على أى من الاغريق والا يضع يده أملاك لبطلميوس وأن يعطى تعويضا لاتالوس ورودس عن الاضرار التى لحقتهما واذا فعل ذلك يعتبر نفسه فى سلام واذا لم يطع « الأوامر » فسيصبح فى الحال فى حرب مع الرومان) .

واضح من حديث المبعوث الرومانى ولهجته الجافة فى مخاطبة الملك المقدونى وانذاره الصريح بالحرب أن روما تضمر العداء لمقدونيا ، ويذكر بوليبيوس فى نفس النص رد الملك المقدونى يقول : (وعندما أراد فيليب أن يوضح أن رودس هى التى بدأت بالشر نحوه قاطعه ماركوس قائلا :

« وماذا عن الاثينيين ؟ وماذا عن اهل كينوس ؟ وماذا عن أهل ابيدوس ؟ هل اعتدى عليك أحد أولا ؟ ولم يستطع الملك الرد وقال أنه يأسف له لأنه يتكلم بعجرفة وذلك لسببين :

أولا : أنه صغير وليس له خبرة بالأمور .

ثانيا : أنه وسيم الخلقة وتلك حقيقة والأهم أنه رومانى ؛

أما من ناحيتى فانى أطالب الرومان خاصة بعدم نقض المعاهدة أو شن الحرب علينا واذا فعلوا ذلك فسوف ندافع عن أنفسنا بشجاعة طالبين مساعدة الاله(١١) .

من النص السابق يتضح موقف روما المتشدد ازاء فيليب فهى تأمره بما تريد ثم بعد ذلك تهدده بالحرب اذا لم يطع أوامرها .

كذلك نستطيع أن نتبين من النص أن روما تجعل من نفسها حامية للمدن الاغريقية (المستقلة) ويتضح هذا من سؤالها فيليب لماذا اعتدى على أهل اثينا وأهل كينوس وأهل ابيدوس ؟

كذلك يتضح من رد فيليب أن روما أصبح لها مكانة لا يستهان بها حتى ان (فيليب) وصف المبعوث الرومانى أنه متعجرف وذلك بدرجة أكثر لأنه رومانى .

فى نص ليفيوس يذكر أنه : (وأرسل الرومان فى نفس الوقت ثلاثة سفراء الى بطلميوس (الخامس) ملك مصر هم كلاوديوس نيرون وأيميليوس لبيدوس وسيمبرونيوس توديتانوس ليعلنوا نصر روما على هانيبال وليشكروا صداقته . لأنه فى وقت الخطر عندما تخلى عن الرومان حلفاؤهم من الجيران ظل هو على ولائه ، وطالبوه اذا حدث أن أجبروا على استئناف الحرب ضد فيليب أن يبقى هو على موقفه القديم من الشعب الرومانى .

فى النص السابق لا نجد ذكرا لمقابلة البعثة لملك مقدونيا ولكنه يذكر فقط مقابلتها لبطلميوس (الخامس) ملك مصر ونجد أنهم شكروا الملك المصرى صداقته وموقفه منهم ويطلبون منه أن يظل على موقفه القديم ازاء صراعهم مع فيليب .

يفسر هذا النص أيضا نشاط الدبلوماسية الرومانية نحو مصر وشرق البحر المتوسط عامة فهى من ناحية تعلن نصرها على هانيبال العدو الذى أقض مضاجعها سنين طويلة وتشكر بطلميوس على موقفه منها فى تلك الحرب ، ومن ناحية أخرى تظهر سياستها تجاه من يحاول عداءها أو يساعد أعداءها مثلما فعل فيليب فهى تستعد لشن الحرب عليه .

Si coacti iniuriis bellum adversus phitippum suscepissent.

بمقارنة هذا النص مع نص بوليبيوس الذى ذكر نجد ان نص ليفيوس يفسر اللهجة الجافة التى تحدث بها المبعوث الرومانى الى الملك المقدونى لأنه يوضح أنهم عازمون على الحرب مع فيليب .

Si Coacti niiurtis bellum adversus Philippum suscepissent.

مما سبق يمكننا أن نقول أنه كانت هناك بعثة رومانية للشرق عام ٢٠٠ ق.م. وأن تلك البعثة حضرت وقابلت فيليب ملك مقدونيا كذلك قابلت بطلميوس الخامس ملك مصر .

واذا استعرضنا الأحداث التى كانت تمر بها المنطقة فى ذلك الوقت نجد أن سوريا ومقدونيا كانتا قد استغلتا انشغال روما فى حربها مع قرطاجة كذلك ارتقاء بطلميوس الخامس العرش وهو طفل صغير • وعقدتا المعاهدة التى سلفت الاشارة اليها (١٢) لتقسيم أملاك البطالمة وحينما وجدت روما أنه بظهور قوة أخرى فى الشرق سوف يختل ذلك التوازن الموجود فى المنطقة قررت — رغم خروجها منهكة من الحرب البونية الثانية — أن تبدأ سياسة نشطة .

ونرى أن موقفها من فيليب واضح فقد ضغطوا عليه كى يترك المتلكات المصرية وذلك لتظهر حســن نيتها وانها تقوم بالتزامات الحليف لمصر ولكننا لا نستطيع أن نقول أنها فعلت نفس الشىء مع أنتيوخس وهذا يوضح أنها بدأت خطا عدائيا لفيليب بينما لم تفعل نفس الشىء مع أنتيوخس(١٤) .

وحتى اذا لم تكن البعثة قد قابلت الملك السورى(١٥) فان من مهامها الأساسية كانت معرفة نواياه ازاء صراعها المقبل مع فيليب ولكن الذى نستطيع أن نقوله انها تضـمر العداء للملك المقدونى وواضح هذا من لهجة حديث المبعوث الرومانى الجافة فى مخاطبته وانذاره الصـــريح بالحرب بينما أفسحت المجال لانتيوخس وذلك بغضها الطرف عن تصرفاته ازاء مصر لأن من مصلحتها أن يدور الصراع بين مصر وسوريا حتى تستطيع أن تنهى على فيليب .

من المحتمل أن روما كانت قد بدأت ترسم بدقة سياستها فى حوض البحر المتوسط فنجد أنها بعد انذارها لفيليب شنت عليه الحرب (المقدونية الثانية) وانتصرت عليه فى موقعة كينوسكفلاى عام ١٩٧ ق.م. وبدأت نفس الســياسة مع أنتيوخس فى البعثة التى أرسلتها له عام ١٩٦ ق.م. فى لوسيماخيا وتبعتها بالحرب التى أنهت فيها على قوة أنتيوخس الثالث فى موقعة مجنسيا عام ١٨٩ ق.م.

ولكن هل لنا أن نتساءل ونحن نبحث فى العلاقات المصرية الرومانية : لماذا لم يتبع الرومان نفس السياسة مع مصر ؟ وهل كانت من الضعف فى تلك الفترة لدرجة عدم الاهتمام بها أو الخوف منها ؟.

يبدو أن روما ازاء ما رأته من ضعف مصر نظرا لظروفها

الداخلية السيئة وتآمر ســوريا ومقدونيا عليها واعتدائهما على ممتلكاتها الخارجية . وجدت أن ذلك كاف للحد من نشاط مصــر وقوتها . ثم أن مصر كانت تعتبر حليفا لروما لذلك ضمنت حيادها أثناء الصراع بينها وبين مقدونيا .

يفسر هذا نص يذكره ليفيوس ويوضـــح فيه أن بطلميوس (الخامس) قد أرسل الى روما سفارة لابلاغها . (أن الاثنيين قد ســألوه المعونة ضد فيليب ، ولكنه لن يرسل الى بلاد الاغريق — على الرغم من أن أثينا حليف مشترك — أسطوله أو جيشــه سواء للدفاع أو للهجوم دون موافقة الشعب الرومانى . فاذا شاء الرومان الدفاع عن حلفائهم ،فسيبقى فى مملكته ساكنا اما اذا آثروا الا يتخذوا أية خطوة ، فان بطلميوس على استعداد لأن يرســـل قوات فى وسعها أن تحمى أثينا من عدوان فيليب(١٦) .

ويوضح النص أن موقف مصر ازاء حرب روما مع أية قوة لم يكن موقفا محايدا فقط بل كان موقفا ايجابيا .

فمن الواضح أنها تساعد روما بجيوشها . كذلك يوضح النص بداية تبعية مصر لروما لأن مصر وهى تساعد أى جانب — حتى لو كان حليفا مشتركا بينها وبين روما — فانها تستأذنهم أولا . .

نستطيع أيضا أن نتبين شيئا مهما هو اذا كانت مصر على استعداد أن تقدم جيوشها لمساعدة أثينا ضد فيليب وهو عدو روما وحليف هانيبال فمن المؤكد انها لم تساعد روما ضد هانيبال بأن وقفت موقفا محايدا فقط ولكنها أرسلت الى روما معونة ما .

يوضح ذلك ما يذكره ليفيوس فى نفس النص (وقد شــكر السيناتو الملك وأبلغ السفراء المصريين أن الشعب الرومـانى قـد اعتزم حماية حلفائه . فاذا احتاجوا للمعونة فى تلك الحرب فسوف

يخبرون بطلميوس لثقتهم بأن فى وسعهم دائما الاعتماد على موارد مملكته لسد حاجات الجمهورية) .

Gratiae regi ab senatu actae responsumque tutari socios populo Romano in animo esse; si qua re ad id bellum opus sit, indicaturos regi regnique eius opes opes scire subsidia firma ae fidelia suae rei publicae esse.

ويبدو أنه كان هناك انفاق بين مصر وروما بغرض حفظ التوازن السياسى فى بلاد الاغريق وذلك منذ بداية اتصال القوتين ببعضهما فى عهد بطلميوس فيلادلفوس(١٧) .

مشكلة أخرى ظهرت من دراستنا لتلك البعثة وهى الاشاعة التى روجها الرومان بأن بطلميوس الرابع كان قد طلب منهم أن يتولوا الوصاية على ابنه الطفل . وقد ادعى لبيدوس — وهو عضو أو رئيس البعثة التى حضرت لمصر فى تلك الفترة — أنه أقام من نفسه وصيا على الملك الطفل .

ولا نستطيع أن نؤكد أن تلك الفكرة صحيحة لأننا لا نجد أى ذكر لها فى كتابات الموثوق بهم مثل بوليبيوس وليفيوس(١٨) ولكننا نجد نصا يوضح فيه أن السيناتو أرسل ماركوس ليبدوس ليكون وصيا على ابن بطلميوس وتاريخ تلك الفترة مبهم كذلك نشاطات ليبدوس لا نعرف أكثر من أنه جاء سفيرا ضمن السفارة الرومانية عام ٢٠٠ ق.م.

ولكن عثر على عملة فى روما سكها أحد المتأخرين من أسرة ليبدوس — من المحتمل عام ٥٤ ق.م. — تبين أن جده ماركوس لبيدوس يتوج الملك الطفل مع نص (TVTOR REGIS) ومن المحتمل أن أسرة ليبدوس هذا قد سكت تلك العملة لابراز دور جدهم .

ومن الجائز أن بطلميوس الرابع نظرا لعلاقته الطيبة بالرومان كان قد طلب منهم استمرار تلك الصداقة بين روما وابنه وذلك بعد وفاته واعتبرها الرومان وصية من الملك لوضع ابنه تحت حماية روما .

ولكن يبدو أن الرسائل المرسلة من البلاط البطلمى الى روما فى نهاية عهد فيلوباتور تحوى أمله فى أن تظل صداقة ابنه للشعب الرومانى(٢٠) .

ولكن الساسة الرومان فسروه حسب ما يرتضون وكان الموقف فى مصر غير مستقر الى حد أنه أمكن ترويج اشاعة فى بعض الدوائر الرومانية تفيد أن ليبدوس قد عين وصيا على الملك المصرى(٢١) .

يمكننا أن نقول أن تلك العملة التى يتحدث عنها بيفان(٢٢) من المحتمل أنها كانت عام ٥٤ ق.م. وسكها أحفاد ليبدوس ومن الممكن أن يكون سك تلك العملة فى هذا الوقت بالذات كان لغرض سياسى أرادته الحكومة الرومانية ذاتها لأنه فى عام ٥٨ ق.م. دخلت قبرص فى نطاق النفوذ الرومانى وكان أثناء حكم بطلميوس الزمار لمصر فثار عليه الشعب فى الاسكندرية واضطر للهرب الى روما ولم يرجع الى مصر الا فى عام ٥٥ ق.م. ونعلم ما فعله هذا الملك من قبل حتى يستطيع أعتلاء عرش مصر ..

فمن الجائز أن سك تلك العملة كان يخدم غرضا سياسيا لروما والزمار فى نفس الوقت حتى لا يستطيع الشعب فى الاسكندرية الاعتراض على وجود الزمار على العرش . ومن المعروف أن الزمار ترك وصية بجعل الحق للرومان فى الوصاية على العرش .

وربما أراد الرومان بسك تلك العملة بيان أن فكرة وصاية روما على عرش مصـــــر ليست فكرة حديثة ولكنها ترجع لعهد البطالمة الأوائل وذلك بمقارنة تاريخ العملة ٥٤ ق٠م٠ (وربما ٥٥ ق٠م٠) وهو عام رجوع الزمار لملكته . ثم وفاة الزمار عام ٥١ ق٠م٠ يجعلنا نرجح أن القائمين بالأمور فى روما هم أصـــحاب الفكرة وليس أسرة لبيدوس .

لا نجد هناك تقدما أو تغييرا فى علاقات مصر بروما فى تلك الفترة التى تمتد من عام ٢٠٠ الى عام ١٧٠ — ١٦٨ ق٠م ويبدو أن ذلك يرجع الى انشغال روما بالحرب المقدونية الثانية التى انتصرت فيها على فيليب عام ١٩٧ . فى تلك الاثناء كانت سوريا قد استطاعت الاستيلاء على وادى سوريا من مصر بعد هزيمتها فى موقعة بانيون عام ٢٠٠ ق٠م٠

كذلك كانت قد تابعت فتوحاتها فى بحر ايجة واستولت على بعض ممتلكات مصر ويبدو أن مصر قد حاولت التفاهم مع أنتيوخس وذلك لخوفها من استيلائه على مصر ذاتها كذلك لضياع أملها فى تدخل روما بينها وبين أنتيوخس — كما رأينا — من سلبيتها تجاه أنتيوخس بعكس الموقف المتشدد الذى اتخذته من فيليب الخامس فى بعثتها التى أرسلتها عام ٢٠٠ ق٠م٠ كذلك حربها مع فيليب بينما تركت أنتيوخس يفعل ما يشاء بالممتلكات المصرية .

ويبدو كذلك أن مصـــر قد اتفقت مع أنتيوخس بعد معاهدة الصلح اثر معركة بانيون وكان ضمن الاتفاق عقد الزواج ، الذى سبق أن تحدثنا عنه فى علاقة مصر بالدولة السليوقية .

لذلك استبدلت روما بسياستها المتبعة حيال مصر وسوريا سياسة نشطة لما توقعته من تخلخل ذلك التوازن الذى حافظت على دوامه فى حوض البحر المتوسط .

فمعنى أن تتحد مصر وسوريا أنه سوف تقوم دولة من المحتمل أن تقف على قدم المساواة مع روما خصوصا أن سوريا فى ذلك الوقت كانت قد تابعت فتوحاتها فى آسيا الصغرى وبحر ايجة حتى وصلت الى تراقيا وأصبحت تهدد مناطق نفوذ الرومان . فكانت تلك البعثة التى أرسلتها الى أنتيوخس فى لوسيماخيا — وتحدثنا عنها بالتفصيل فى الفصل السابق — ولكن يجدر بنا هنا أن نذكر ما يخص علاقات مصر بروما .

وجدنا أن ضمن مطالب السفراء الرومان لانتيوخس أن يبتعد عن الأماكن والمدن التى استولى عليها من أملاك بطلميوس الخامس .

ويذكر بوليبيوس أن رد الملك السورى كان : (وعن علاقته ببطلميوس الخامس) قال (أنتيوخس) أنه سيوضح ذلك فى أخبار سارة حيث أنتوى عدم اقامة علاقة صداقة فقط ولكنه سيرتبط معه أيضا بعلاقة أسرية(٢٣) .

وتلك الجملة التى قالها الملك السورى توضح مدى ما وصلت اليه مصر من ضعف حتى أن كلا منهما يحاول أن يجعل من نفسه حاميا لمصالحها .

كان من الطبيعى أنه بعد ارتباط مصر وسوريا بالزواج الذى تم عام ١٩٤ — ١٩٣ ق.م. بين الملك البطلمى أبيفانس وابنة ملك سوريا كليوباترة الأولى وبعد أن أعلنت روما الحرب على سوريا .. أن تساعد مصر ضد روما ولكن يبدو أن هناك خلافات قد نشأت بعد اتمام الزواج ربما لأن سوريا قد رفضت أن تعطى مصر شيئا أو تنفذ شرطا من الشروط التى اتفقا عليها قبل اتمام الزواج فكان من مصر بدلا من أن تساعد سوريا حاولت عرض المساعدة على روما مرتين : الأولى عام ١٩١ ق.م.

ويذكر أنه : (فى ذلك الوقت وصـــلت بعثات من الملكين فيليب وبطلميوس ملك مصر الى روما . وعد فيليب الرومان أن يقدم لهم مساعدته فى الحرب بالمال والقمح وكذا بطلميوس أيضا وعد بألف قطعة من الذهب وعشرين ألفا من الفضة ؛ ولم يوافق (الرومان) على أى منهما وشكر (الرومان) الملكين .

وفى عام ١٩٠ ق.م. عرضت مصر المساعدة على روما مرة أخرى وذلك عند طرد قوات أنتيوخس الثالث من بلاد الاغريق ولكن روما رفضت المساعدة مرة أخرى (كان ملوك مصر مستعدين لما يقرره السيناتو ولكن (السيناتو) شكرهم) .

« ; reges Aegypti ad ea, quae censuisset senatus, Paratos fore· Gratiae regibus actae;

ويدلنا ذلك على أن العلاقة بين مصر وروما كانت ماتزال معاملة صديق قوى لحليف له هو مصر رغم أن هذا الرفض من جهة روما له دلالة واضـــحة على أنها تبدى عدم رضـــائها عن سياسة مصـــر تجاهها وذلك بســـبب تفاهمها مع أنتيوخس منذ سنوات قليلة وذلك بالزواج الذى تم بين الدولتين فى الوقت الذى كانت روما تدافع فيه عن مصـــــر عندما قابلت البعثة الرومانية أنتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م.

ومحاولة مصر تملق روما بعرض المساعدة عليها مرتين لم يمح الأثر السيىء الذى تركته محالفتها مع أنتيوخس الذى كان العداء بينه وبين روما سافرا .

الفترة الى عام ١٧٠ ــ ١٦٨ ق.م. نجد أن علاقات مصـــر بروما لم تتغير عما هى عليه عند الحرب السورية السادسة التى استطاع أنتيوخس الرابع أثناءها ان يدخل مصر ويصـــل الى الاسكندرية فمنذ حرب روما مع أنتيوخس الثالث وانتصارها عليه

فى معركة من أسهل المعارك التى انتصـــــر فيها الرومان وهى معركة ماجنسيا عام ١٨٩ ق٠م٠ وكان انتصارهم فيها يشبه ذلك الانتصـــار الذى أحرزوه على مقدونيا فى معركة كينوسكفلاى(٢٤) عام ١٩٧ ق٠م٠

وكان نتيجة هذا الانتصار عقد معاهدة أباميا عام ١٨٨ق٠م٠ وكان أن دفعت روما بسوريا خارج العالم الاغريقى وأصبح حوض البحر المتوسط ينقسم الى ثلاث مجموعات لم تكن بينها علاقات مباشرة وهى :

أولا : ســـوريا ومصـــر

ثانيا : مقدونيا وبلاد الاغريق

ثالثا : آســـيا الصـــغرى(٢٥)

ووضعت روما بين تلك القوى كلا من برجامة ورودس اللتين كان لهما النصيب الأكبر من غنائم الحرب(٢٦) ٠ وأول تلك الممالك هى سوريا التى عقدت معها روما المعاهدة ونزعت منها آســـيا الصغرى أكبر ممتلكاتها وبذلك أصبح من الصعب عليها أن تقيم أية علاقة مع بلاد الاغريق(٢٧) ٠

واذا نظرنا لشروط تلك المعاهدة نجد أنها تعبر عن مدى قوة روما وما أحرزته من انتصار على سوريا فقد استطاعت أن تحد من قوة أنتيوخس الثالث وحـــرمته كل ممتلكاته عبر الطوروس وحذرته من أن يحتفظ بأكثر من عشر سفن حربية ومنعته أن يؤجر جنودا مرتزقة من الأراضى التابعة لها أو يتسلم الهاربين اليها ٠

وحتى اذا أرادت أية مدينة أن تنضم الى سوريا فلا يصح أن توافق سوريا على ذلك وان يدفع أنتيوخس للرومان اثنى عشر

ألف تالنت في خلال اثنى عشر عاما . وعلاوة على ذلك فانه يسلم امدادات من الغلال للجيش الرومانى(٢٨) .

كان أيضا من شروط المعاهدة أن حرمت روما على أنتيوخس اخذ الجزية من المدن المستقلة التى كانت تدفعها له تلك المدن وذلك جزاء اخلاصها لروما .

كان كذلك على أنتيوخس الا يبحر غربا الا لتوصيل أقساط التعويض أو تسليم الأسرى . كذلك كفل أنتيوخس الحرية والحماية للسفن الرومانية(٢٩) وبذلك أصبحت قوة سوريا من الضعف بحيث تعادل قوة مصر .

أما من ناحية مصر فقد كان استقلالها لا يهدد روما لأن بطالمة القرن الثانى ق.م. كانوا لا يظهرون أية معارضة لسياسة روما(٣٠) . وقد حرمتها روما جميع ممتلكاتها عند تقسيم أملاك أنتيوخس الثالث ولم تعطها شيئا ولا حتى الوادى السورى . ولم يبق لمصر من ممتلكاتها سوى قبرص وبرقة .

أما آسيا الصغرى فكانت مكونة من ممالك صغيرة وكبيرة وبها كثير من المدن المستقلة التى كانت أقواها هى مملكة برجامة التى وضعتها روما عينا لها على جميع الممالك الهلينسيتية وحدا فاصلا بين الدولة السليوقية من جهة ومقدونيا وبلاد الاغريق من جهة أخرى حتى تمنع أى تقارب بينهما .

وكان لبرجامة نصيب الأسد من تلك الغنائم وبالطبع لم يكن هذا حبا فى برجامة ولكن سياسة ذكية اتبعتها روما لتحفظ التوازن فى حوض البحر المتوسط وتمنع تعاظم أية قوة غيرها . لقد أعطى الرومان ليومنيس كل الاقاليم التى أخذوها من أنتيوخس الثالث ماعدا (المدن) اليونانية .

وظل الذين كانوا يدفعون الجـزية الى أتالوس يدفعونها لابنه يومنيس بينما أعفوا من الجزية هؤلاء الذين كانوا يدفعونها لانتيوخس من قبل وأطلق سراحهم . اما الذى ترك محالفة الرومان وانحاز لانتيوخس فى الحرب فكان عليه أن يدفع ليومنيس الضريبة التى فرضها عليهم أنتيوخس .

ورغم ذلك كانت قوة برجامة مرتبطة بمدى طاعتها واخلاصها لروما(٣١) . أما رودس فقد اعطتها روما كلا من ليكيا وكاريا جنوب نهر المايانذر عدا تلميسوس .

على أى حال كانت كل حركة تمرد من مدن آسيا الصغرى تقابل بكل استياء من السيناتو الرومانى لأن ايا من مدن آسـيا الصـغرى تنهى الوضع الذى كانت عليه كانت تقع تحت طائلة عقاب روما(٣٢) .

بقيت مقدونيا التى استطاعت روما بمقتضى تلك المعاهدة أن تنسيها آمالها الكبيرة فى أن تحكم العالم الاغريقى وبحر ايجة لأن رغبتها تلك أصبحت مجرد أحلام وأصبح التحرك الوحيد لمقدونيا هو علاقاتها الدبلوماسية مع روما(٣٣) .

وبعد تلك المعاهدة أمنت روما أى قلاقل من ناحية شـرق البحر المتوسط خصوصا سوريا التى توالى على عرشـها ملوك ضعاف عملوا فقط على الحفاظ على سلامة مملكتهم الى أن اعتلى العـرش فيها عام ١٧٥ ق.م. ملك طموح هو أنتيوخس الرابع (ابيفانس) .

وعند انشغال روما بالحرب المقدونية الثالثة عام (١٧١ ــ ١٦٨ ق.م.) بدأت مصر وسـوريا فى المشاحنات . وليس هنا مجال للحديث عن تلك الحرب التى قامت بين مصر وسوريا وسميت

بالحرب السورية السادسة لأننا تناولناها بالشرح أثناء الحديث عن علاقات مصر وسوريا والذى يهمنا هنا هو موقف روما من تلك الحـــــرب .

لقد أصبح لروما ثقل سياسى فى حوض البحر المتوسط ولم تعد ذلك الجانب الذى يعامله الجميع على أنه ند له أو حتى طرف قوى فقط ولكنها أصبحت جانبا يرهبه الجميع ذلك نجد أنه فى الفترة الصغيرة منذ بداية تلك الحرب الى نهايتها كان انشغال روما فى حربها مع مقدونيا سببا قويا فى قيام الحرب بين مصر وسوريا ونجد أنه رغم رغبة الطرفين فى شن الحرب على الطرف الآخر فان كلا منهما أرسلت سفارات الى روما لالقاء التبعة على الطرف الآخر .

ويدلنا ذلك على مدى ما وصـــــل اليه النفوذ الرومانى فى المنطقة . ورغم ذلك نجد أن روما لم تتدخل الا بعد أن تأكدت بصورة نهائية من انتهاء الحرب بينها وبين مقدونيا فى صالحها وكانت المعركة الفاصلة عند بيدنا عام ١٦٨ ق٠م٠ .

ويبدو أن هذا التدخل كان بناء على طلب مصر التى استنجدت بروما بعد أن استطاع انتيوخس الرابع أن يدخل مصر .

ولو تتبعنا الدور الذى قامت به روما منذ بداية الحرب . نجد أنها قبل اشتباكها بالحرب مع مقدونيا كانت قد أرسلت سفارات الى مصر وسوريا لتضمن حيادهما وعدم مساعدتهما لمقدونيا وتلك السفارة كانت عام ١٧٢ ق٠م٠

ويذكر ليفيوس أن روما كانت قد أرسلت بعثة دبلوماســية عام ١٧٣ ق٠م٠ وذلك لتجديد الصداقة بين مصـــر وروما (وقد أمروا « المبعوثين الرومان » أن يتوجهوا الى الاســكندرية لتجديد صداقتهم مع بطلميوس) .

«Alexandriam iidem ad Ptolemaeum renorandae amicitiae cousa Proficisci iussi».

ومن المحتمل أن تلك البعثة كانت لضمان امداد مصر لروما بالقمح أثناء حربها مع مقدونيا كذلك من الجائز أنها اغتنمت فرصة تتويج الملك بطلميوس السادس لتأكيد صداقتهم مع مصر .

وعندما قامت الحرب بين الطرفين أرسل كل منهم بعثة الى روما لالقاء تبعة الحرب على الآخر لكنها لم تفعل أكثر من طمأنة الجانب المصـــرى ووعد الجانب الســـورى بأنها سوف تعهد الى مندوب رومانى لبحث تلك المسألة ويذكر بوليبيوس (بعد أن بدأت الحرب من أجل وادى سوريا بين الملكين أنتيوخس وبطلميوس حضر سفراء من أنتيوخس هما ملياجيروسوسيفانوس وهيراكليوس (وحضر) تيمرثيس ودامون من قبل بطلميوس .

وبعد أن أعاد (سفراء بطلميوس) علاقات الصداقة مع (روما) وتسلموا ردا مناسبا عادوا الى الاسكندرية ورد الســيناتو على ملياجير بأنه سيعين كوينتوس ماركيوس ليكتب الى بطلميوس حول هذا الأمر) .

ومن الواضح أن روما لم تكن تريد أن تنهى الوضع الحرج الذى وقع فيه الشرق لأن من صالحها استمرار الحال على ما هو عليه فلم تفعل أكثر من وعد الطرفين ببحث تلك المشكلة وواضح أيضا أن حالة مصر وسوريا على ما هما عليه من خلاف أفضـــل لروما حتى تنتهى هى من حربها مع مقدونيا .

ولم تكن تلك هى المرة الوحيدة التى أرسل فيها أى طرف منهما للشكوى لروما فهناك نص يذكره ليفيوس ويذكر فيه : (أرسلت سفارات من الملك بطلميوس والملكة كليوباترة فى الاسكندرية وقد

أطلقوا لحاهم وشعورهم ودخلوا مقر السيناتو حاملين اغصان الزيتون . وسجدوا وكان حديثهم يرثى له أكثر من مظهرهم وقالوا أن أنتيوخس ملك سوريا الذى كان رهينة فى روما والذى يتخذ حجة الشرف لابعاد بطلميوس الكبير عن عرشه يشن الحرب ضد أخيه الأصغر الذى يأخذ مكانه الآن فى الاسكندرية .

وقد انتصر أنتيوخس فى معركة برية فى بلوزيوم وعبر النيل مع جيشه وأرهب الاسكندرية بحصاره ويبدو انه سيتدخل فى مراقبة المملكة الثرية) .

وطلب المبعوثون المصريون نجدة روما (وطلب المبعوثون من السيناتو أن ينقذ المملكة والملكين اللذين هما أصدقاء للحكم الرومانى) .

Ea legati querentes orabant senatum ut opem regno regibusque amicis imperio romano ferrent.

وهذا النص لا يوضح فقط استنجاد مصر بروما ولكن يوضح الأسلوب المهين الذى بدا واضحا فى سلوك المبعوثين المصريين الذين ذهبوا الى روما للاستنجاد بالسيناتو . ورغم استمرار الحرب ودخول أنتيوخس الرابع مصر ووصوله للعاصمة بعد أن توج نفسه ملكا فى منف واستيلاء قواته على قبرص قبل زحفه فى المرة الثانية على مصر فان روما لم تتدخل بالفعل سوى بعد أن تأكدت تماما من انتصارها الكامل على مقدونيا أى بعد معركة بيدنا عام ١٦٨ ق.م. كذلك بعد أن تأكدت من أن امتداد نفوذ أنتيوخس بهذا الشكل يهدد وجودها ونفوذها فى المنطقة .

كذلك وهو الأهم أنها كانت قد وضعت مصر فى موقف المستجير بها والذى لا يستطيع أن يفعل شيئا بدون مساندتها .

فكانت المقابلة المشهورة بين سفراء الرومان وأنتيوخس الرابع على مشارف الاسكندرية عام ١٦٨ ق.م. التى يصفها لنا بوليبيوس فيقول : (بعد أن انتصر أنتيوخس على بطلميوس وقرر الاستيلاء على بلوزيوم .. حياه القائد الرومانى بوبيليوس على مسافة بعيدة ولم يمد يده لمصافحته وأعطاه صورة من أمر السيناتو وأمر أنتيوخس أن يقرأها أولا ..

وبعد أن قرأ الملك قال انه يريد أن يعرضها على قواده .. أخذ « بوبيليوس » عصا من نبات ورسم بها دائرة حول الملك « أنتيوخس » وأمره أن يبقى داخل الدائرة حتى يعطيه ردا لخطابه. وتعجب الملك من عجرفته وتصرفه الغريب . ولكن « بعد قليل من الوقت » قال أنه سينفذ كل ما يريده الرومان . وعند ذلك صافحه بوبيليوس وكل مرافقيه بود ، وكانت الرسالة تأمره أن يضع حدا للحرب مع بطلميوس كذلك « أعطاه مهلة » بعض أيام ليسحب قواته من سوريا ..

وبعد أن دبر بوبيليوس الأمر بالاسكندرية وحث الملكين أن يعملا معا أمرهما أن يرسلا بولواراتوس الى روما ، وقد أبحر الى قبرص وكانوا يرغبون فى اخراج القوات السورية بسرعة من الجزيرة .

وهذا النص يدل أولا على شىء مهم وهو أن روما بمسلكها هذا لو كانت تريد انهاء الحرب وانقاذ مصر منذ غزو أنتيوخس فى المرة الأولى لحدث ذلك . يدل على ذلك مسلك المندوب الرومانى الذى قابل الملك السورى ولم يمد يده لمصافحته ولكن أعطاه أمر السيناتو بالانسحاب .

ويوضح النص مدى ثقة المندوب الرومانى فيما يفعله .. يؤكد تلك الثقة ما فعله بعد ذلك من أنه رفض رد الملك من أنه سيرد

على ما طلبه السيناتو بعد الاجتماع مع قواده . وكان هذا الرفض أن أخذ عصا ورسم بها دائرة حول الملك وأمره أن يبقى فى داخلها حتى يعطيه ردا لخطابه .

ولكن كان من صالح روما استمرار الحرب بين مصر وسوريا حتى تضمن انشغال القوتين . أو على أقل تقدير تضمن انشغال سوريا عن مساعدة ملك مقدونيا ضدها .

ثانيا : أن أنتيوخس لم يغز مصر بهذا الشكل الا لتأكده تماما أن روما قد هزمت فى حربها مع مقدونيا والا فبماذا نفسر تجاهله قوة روما الى الحد الذى جعله يستمر فى غزو مصر بهذه الصورة سوى أنه كان يريد أن يستفيد من انشغال روما فى الحرب المقدونيه الى ابعد حد .

ثالثا : مدى ما وصلت اليه روما ونفوذها ومكانتها فى المنطقة بحيث نستطيع أن نقول أنها وصلت الى درجة من الاستحالة معها أن تعود الى ما كانت عليه ويدل ذلك على أن مصر بموقف روما هذا أصبحت فى تبعية أكيدة لها لأنها تعتبر هى المنقذة لها من الحكم السليوقى .

وكانت تلك هى ثانية الصدمات التى أصابت مصر فى عهد فيلوميتور .

وهكذا أنقذت دائرة بوبيليوس الشـــهيرة مصــــر من براثن الاحتلال السليوقى وكان يذكر بوليبيوس أن الرومان بهذه الطريقة قد أنقذوا مملكة البطالمة بعد أن كانت على وشك الانهيار "، وأن الحظ قد لعب دورا مهما عندما انتهت الحرب بين مقدونيا وروما . عندما فقدت الاسكندرية ومصر كلها الأمل عاد كل شىء الى سابقه لأن مصير برسيوس كان قد تقرر واذا لم يكن هذا قد حدث . واذا

لم يكن أنتيوخس واثقا من ذلك ما أطاع أوامر الرومان أبدا وتجدر الاشـارة هنا الى ان كلا من سوريا ومصر قد أرسلت بعد ذلك بعثات الى روما .

Posdt ipsorum regum legati venerunt

فقد أرسـل أنتيوخس ليبلغ الرومان انه يفضل السلام مادامت تلك رغبة السيناتو وأنه قد أطاع أوامر رسلهم كما لو كانت صادرة عن الاله .

Antioochi Legati referentes ommi victoria potiorem pacem regi, senatui quae placuisset, visam eumque haud secus quam deorum imperio legatorum Romanorum iussis paruisse;

أما مصر فقد أرسلت بعثتها لتقديم الشكر باسم بطلميوس وكليوباترة .

Ptolemaei legati communi nomine regis et Cleopatrae gratias egerunt. . (٣٤)

وأنتقلت العلاقات بين مصر وســوريا وروما بعد ذلك الى نوع جدبد . ليس معاملة الاثنين لبعضهما كند لند أو معاملة صديق لحليفه او طرف ضعيف بطلب المساعدة من طرف قوى ولكن انتقلت العلاقات الى استغلال روما للشقاق بين الاخوين وتوسعة شقة الخلاف بينهما .

ويبدو ان روما رأت أن ذلك أفضل سبيل للقضاء على مملكة البطالمة بحيث تكون بذور نهايتها من داخل المملكة ذاتها .

لقد بدأ خلاف الاخوين بعد أن رحل أنتيوخس من مصـــر

واستطاع بطلميوس الصغير أن يثير الشعب فى الاسكندرية ضد أخيه فاضطر للفرار الى روما عام ١٦٤ ق٠م٠ وكان من الطبيعى أن تساعد روما تلك السياسة وأن تساعد احدهما على الآخر .

ويحدثنا ديودور (ان بطلميوس ملك مصر . عندما طرده أخوه من مملكته لجأ الى روما فى حالة يرثى لها يصحبه خصى واحد وثلاثة عبيد) .

ويوضح النص مدى الهوان الذى وصل اليه ملوك البطالمة فبعد أن كانوا يطلبون مساعدة روما ضد عدو خارجى أصبح منهم من يلجأ الى روما ليشكو أخاه . وساعدت روما هذا الخلاف بحجة التوفيق بين الأخوين .

كذلك وجدتها فرصة مواتية فاقترحت تقسيم المملكة بين الأخوين وليس تقسيم السلطة فقط ويعتبر من ذلك الوقت أن مصر قد فقدت صفة الاستقلال السياسى ولو أنها كانت من الناحية الرسمية ماتزال مملكة مستقلة .

ويبدو أن السيناتو قد نصح بطلميوس فيلوميتور بالذهاب الى قبرص(٣٥) على أساس أن يكون التقسيم هو جعل مصر وقبرص من نصيب فيلوميتور وبرقة(٣٦) من نصيب أخيه الأصغر يورجيتس الثانى .

وذهب بطلميوس فيلوميتور الى قبرص على أن تساعده روما ولكنها لم تفعل شيئا جديا تجاهه وكأن الحال الموجودة عليه العلاقة بين الأخوين هو ما ترجوه روما .

وتبدو سياسة روما واضحة عندما قامت ثورة فى الاسكندرية عام ١٦٧ ق٠م٠ وأطاحت بالأخ الأصغر واستدعى فايوميتور من قبرص ليحكم مملكته .

(وأرسلوا فى استدعاء بطلميوس الأكبر من قبرص)

واستعراض تاريخ حكم الأخوين هو عبارة عن استعراض صورة من التدخل الواضح من جانب روما والتذلل المهين من جانب ملوك مصر . ولا نستطيع أن نقول أن السبب الوحيد هو روما ولكن كان للأخوين جانب كبير من المسئولية وذلك حتى لو كانت روما هى التى أوجدت الشقاق من قبل .

بعد تقسيم عام ١٦٣ ق.م. الذى ابتدعته روما لم يكتف بطلميوس الصغير بذلك ولكنه طمع فى ضم قبرص . ويذكر بوليبيوس (وبعد أن تقاسم البطالمة المملكة حضر بطلميوس الصغير الى روما .. وتوسل الى السيناتو أن يعطيه قبرص) .

ويمكننا القول بأن ذلك لم يكن رغبته فى أول الأمر ولكنه بايعاز من الرومان وكان واضحا أن تقسيم المملكة الى مناطق حكم بين الاخوين نذير باستمرار الشقاق بينهما .

ورغم أن فيلوميتور أرسل سفراء للدفاع عنه لدى السيناتو فان روما أرسلت اثنين من أعضاء السيناتو لتنصيب بطلميوس الأصغر يورجتيس الثانى ملكا على قبرص .

ويذكر بوليبيوس (وعينوا « السيناتو » ليتوس توركواتوس وجنايوس ميرولا كمبعوثين لاعادة بطلميوس الى قبرص واتمام جميع ما يريده وفى الوقت الذى أرسلوهم فيه أعطوهم أوامر أن يصلحوا بين الأخوين وينصبوا الأصغر فى قبرص بدون حرب) .

وواضح أن روما لا تريد أى اتفاق بين الأخوين كذلك نجد أن رغبتها فى تنصيب بطلميوس الصغير على قبرص ومساعدته ضد أخيه تلعب دورا مهما فى مستقبل العلاقات بينها وبين ملوك مصر

فقد أرادت من ذلك أن يستمر يورجيتيس الثانى مدينا لها طول حياته لأنها السبب فى جعله ملكا .

وسيظهر ذلك واضحا بعد وفاة فيلوميتور وتولى يورجيتيس العرش ..

ويبدو أن فيلوميتور لم يذعن لرغبة روما . ولم يعط قبرص لأخيه ويذكر بوليبيوس أن يورجيتيس قد شـــغل فى اخماد ثورة اشتعلت فى برقة ولم يحصل على قبرص فى ذلك الوقت ويدلنا نص لبوليبيوس أن فيلوميتور لم يعط قبرص لأخيه وأرسل سفارة الى روما تشرح وجهة نظره فى نفس الوقت الذى أرسل فيه يورجيتيس ســـفارة هو أيضا لكن لم يكن من الســـيناتو الا أن رفض دفاع فيلوميتور وأمرهم بمغادرة روما .

ويذكر بوليبيوس : (وقرر الســـيناتو بأن يغادر مينلوس « مبعوث فيلوميتور » روما خلال خمسة أيام . وأن التحالف مع « بطلميوس » الأكبر قد انتهى(*) .

وواضح من النص أن روما بدأت سياسة جديدة مع فيلوميتور ويبدو أن سلوكه هذا فى رفضه اعطاء قبرص لأخيه قد أغضـــبه الرومان لذلك بدأت فى اتخاذ موقف جاد ازاءه وقد حدث هذا عندما ذهب بطلميوس الصـــغير عام ١٥٤ ق.م. الى روما يشكو اخاه بتهمة محاولة اغتياله .

وقد أرسل فيلوميتور سفراء عنه هو أيضا لتوضيح موقفه ولكن السيناتو رفض دفاع سفراء فيلوميتور وأرسل سفراء لتنصيب بطلميوس الصغير على قبرص بالقوة .

ويقول بوليبيوس : (وأمروهم « أمر الســـيناتو المبعوثين الرومان » أن يعيدوا بطلميوس الصـــغير الى قبرص وكتبوا الى

حلفائهم فى بلاد الاغريق وآسيا أن يتحركوا بجيوشهم لمساعدة بطلميوس فى حصوله على العرش .

ويوضح النص رغبة روما الأكيدة فى نصرة الأخ الأصغر على الآخر . ولم تعد هى السبب فى خصوماتهما ولكنها أصبحت حكما بينهما ولم تعد تشجع احدهما على الآخر بوسيلة أو بأخرى ولكن أصبح العداء سافرا بينها وبين الأخ الأكبر وأصبحت المساعدة فعلية للأخ الأصغر بعد أن كانت مجرد اظهار عطفها نحوه .

لم يستطع بطلميوس الأصغر أن يحصل على قبرص وذلك لدفاع فيلوميتور عنها وذهب يورجيتيس الى برقة وظل بها حتى وفاة اخيه وحصوله على عرش مصر وقبرص الى جانب برقة .

قبل أن نفرغ من الحديث عن تلك الفترة وهى الفترة التى اشترك الاخوان فيها فى حكم مصر يجدر بنا أن نذكر شيئا ربما كان هو السبب فى تأييد روما لبطلميوس يورجيتيس الثانى هذا التأييد الكامل .

فهناك نقش يرجع الى عام ١٥٥ ق.م وهى الفترة التى احتدم فيها الخلاف بين الأخوين . ويذكر النقش وصية بطلميوس يورجيتيس الثانى بمملكته « برقة » الى الرومان اذا توفى ولم يكن له وريث شرعى . وتذكر الوصية :

« السنة الخامسة عشر . شهر لويوس — بالتوفيق »

فيما يلى وصية الملك بطلميوس ، الابن الأصغر للملك بطلميوس والملكة كليوباترة الالهين الظاهرين ، والتى أرسلت منها أيضا صورة الى روما .

لتمنحنى الالهة بفضلها القدرة على أن أقتص قصاصا عادلا من أولئك الذين دبروا ضدى مؤامرة دنسة وأخذوا على عاتقهم أن

يسلبونى لا مملكتى فحسب بل حياتى كذلك . لكن اذا حدث لى شىء قبل أن اترك ورثة لعرشى فأنى أوصى بالملكة التى فى حوزتى للرومان الذين حافظت باخلاص منذ البداية على صداقتى وتحالفى معهم ، واليهم أعهد كذلك بحماية مصالحى ، مناشدا اياهم باسم جميع الالهة ويشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم اذا اعتدى أحد على مدن مملكتى أو أراضيها ، طبقا لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بيننا .

وقد أقمت شهودا على هذا الاجراء جوبيتر اليابيتولينى والالهة الكبار وهليوس وأبولون مؤسس « قورينة » . الذين أودعت فى حراستهم أيضا أصل هذه الوثيقة . وليكن التوفيق رائدا لها (٣٧) .

وتدلنا هذه الوثيقة على مدى ما وصل اليه الملوك البطالمة من المهانة حتى أن هذا الأخ يوصى بمملكته التى اقتطعها من أمـــلاك أخيه الى عدو أجنبى حتى لا تؤول الى أخيه . ويدلنا على شىء مهم وهو أن المصلحة كانت متبادلة بين هذا الأخ والرومان .

فمن ناحية كان تملقه الواضح لهم سببا فى أن يؤيدوه هذا التأييد المطلق ضد أخيه .

ومن ناحية أخرى عرفانا منه بفضل روما عليه صدر عنه هذا التصـــــــوف السيىء الذى لم ينفذ فى تلك الفترة ولكنه كان مثالا سيئا سار عليه الكثير من حكام الشرق ومنهم ابنه بطلميوس أبيون الذى احتذى حذو والده وأوصى بنفس الملكة الى روما ونفذت رغبة أبيه على يديه هو حين ورث الرومان أول جزء من أمـــلاك البطالمة عام ٩٦ ق٠م .

بوفاة بطلميوس السادس فيلوميتور عام ١٤٥ ق.م. أثناء حربه مع سوريا من أجل اعادة الوادى السورى الى مصر انتقلت العلاقات المصرية الرومانية الى دور جديد تماما وهو التبعية المطلقة لروما وكان روما تجنى ثمار زرع الشقاق بين الأخوين .

وقد استطاع بطلميوس يورجيتيس الثانى أن يحصل على عرش مصر من ابن أخيه الذى كان هو الوريث الشرعى بعد وفاة والده وكان من الطبيعى أن يكون اقامة يورجيتيس ملكا على مصر من مصلحة الرومان لأنه سصبح مدينا لها طوال حياته لما لها من فضل عليه أثناء صراعه مع أخيه . بعكس ابن فيلوميتور لأن معنى توليه الحكم ووجود والدته وصية عليه أنه سيضطر روما الى أن تبدأ من جديد فى رسم خطط جديدة لتفكيك شمل مملكة البطالمة .

ببداية حكم هذا الملك لمصر حكما منفردا تبدأ حلقة جديدة فى تبعية مصر لروما تصل بها الى دائرة النفوذ الرومانى ويبدو أن روما كانت قد وضعت فى مخططها ضم مصر الى الامبراطورية ويبدو ذلك من الطريقة التى اتبعها اسكيبيو قاهر قرطاجة عام ١٤٦ ق.م وهو مبعوث رومانى أرسله السيناتو عام ١٣٦ ق.م فى زيارته لمصر .

ويقول ديودور (وحضر اسكيبيو الى الاسكندرية مع المبعوثين ليتفحصوا حال المملكة) .

وبوضح النص من البداية غرض سكيبيو ومرافقيه من زيارة مصر . فهم لم يحضروا لعقد اتفاق أو تأكيد صداقة ولكنهم حضروا لتفحص أحوال مصر كلها .

وأستقبل بطلميوس « يورجيتيس الثانى » المبعوثين باحتفال

كبير واستعداد ضخم واقام لهم الولائم الكبيرة واخذهم ليريهم القصر والخزائن الملكية الأخرى .

ولكنهم لم يهتموا بذلك كله وكانت مهمتهم الأساسية هى معرفة كل شىء عن مصر :

(موقع واتساع المدينة . وتميز فاروس . وأبحروا وعادوا من ممفيس (ولاحظوا) جودة الأرض ومدى ما يعطيه لها النيل ، والعدد الكبير للمدن المصرية ..)

ويدلنا هذا الجزء من النص على نوايا روما وذلك من طريقة زيارة البعثة لمصر ودراستها لاشياء معينة تشمل موقع مصر ومدى ثرواتها .

كذلك لاحظوا عدد السـكان وموقع مصـر الحصين . واستخلصوا من ذلك أن من الممكن اقامة قوة عظيمة فيها .

ونستطيع أن نتبين أن روما قد عزمت على الاستيلاء على مصـر .

اجتاحت مصر الحروب الأهلية منذ عام ١٣١ — ١٣٠ ق.م. الى عام ١٢٧ ق.م. وهرب يورجيتيس من مصر وفر الى قبرص ولكن يبدو أن مصالح روما الاقتصادية واعتمادها على القمح فى مصر جعلها تتدخل فى الوقت المناسب لتكفل مصالحها . وفعلا تدخلت لاعادة يورجيتيس الى مصر وانهاء الحرب لأن من صـالحها أن يستتب الحكم فى مصر لملك يدين لها بالولاء .

ومما يؤيد مصلحة الرومان الاقتصادية فى مصر ذلك النقش الذى يعبر فيه البحارة والتجار الرومان عن سرورهم لاستعادة يورجيتيس الثانى للاسكندرية(٣٨) .

وكان هؤلاء التجار مقيمين بالاسكندرية وكان فى صـــــالحهم استتباب الأمن والنظام فى البلاد(٣٩) .

بوفاة بطلميوس يورجيتيس الثانى عام ١١٦ ق٠م انتابت مصر مرة أخرى فترة نزاع على العرش لم تنته الا عام ٨٠ ق٠م٠ عندما تولى العرش بطلميوس الزمار .

ولكن فى تلك الفترة شىء يستحق التسجيل وهو وصـــــاية بطلميوس ابيون ــ الابن غير الشـــــرعى لبطلميوس يورجيتيس الثانى ــ بمملكته برقة الى الرومان وهو فى ذلك يحتذى حذو أبيه الذى سبق أن ذكرنا أنه وصى بنفس المملكة الى روما عام ١٥٥ ق٠م٠

ويذكر ذلك أبيانوس فيقول : (.. وانتلقت اثنتان من الممالك الى روما بطريق الوصية حيث ترك لهم نيكوميدس بيثينا وبطلميوس الملك البطلمى الذى دعى أبيون برقة ..)

هـــــوامش

(١) Bell Egypt from Alexander the Great to the Arab conquest P. 58.

(٢) د . عبد اللطيف أحمد على : مصر والامبراطورية الرومانية ص ٢ .

(٣) Bell Op. Cit., P. 58.

(٤) Bevan History of Egypt under the ptolemaic Dnyasty P. 71.

(٥) Bevan, History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty; P. 249.

(٦) Bevan Ibid.

(٧) سيأتى ذكر تلك السفارة فيما بعد .

(٨) ذكر هذا الاتفاق عند الحديث عن العلاقات المصرية السليوقية .

(٩) Bevan, History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty P. 256.

(١٠) Bevan Ibid. P. 256.

(١١) اثناء دراستنا للعلاقات البطلمية السليوقية وجدنا أن المبعوثين الرومان عند مقابلتهم للملك أنتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق.م. حذروه الا يمس

المدن اليونانية لأن معنى عبوره لأوربا هو وضع يده على المدن اليونانية فى أول الأمر ومقارنة هذا النص الذى نتحدث عنه والذى يتحدث عن عام ٢٠٠ ق.م. نستطيع أن نتبين أن فكرة حماية روما لاوروبا لم تبدأ عند احتكاكها بأنتيوخس الثالث. ولكن ترجع الى أبعد من ذلك منذ مقابلة البعثة الرومانية لفيليب الخامس . من المحتمل أن تلك الفكرة كانت ضمن مخطط السـياسة الرومانية فى حوض البحر المتوسط ولذلك بدأت تلك السـياسة مع فيليب الخامس وهو من ملوك أوروبا نفسـها .

(١٢) أثناء الحديث عن العلاقات البطلمية السليوقية .

(١٣) Bevan, History of Egypt under the ptolemaic Dynasty P. 258.

(١٤) Holleaux, C.A.H. VIII, P. 166.

(١٥) فى نص بوليبيوس جملة ربما تدل على أن البعثة قابلت أنتيوخس أيضا ويذكر Bevan, P. 257. اننا لا نعلم هل فى الوقت الذى أرسلت فيه روما لمصر قد أرسلت أيضا سفراء لسوريا تطلب منهم عدم مهاجمة مصر ؟ ولكن الذى لم تستطيع أن تفعله هو اقامة عداء مع أنتيوخس كما فعلت مع مقدونيا .

ولكن يبدو أنه لم يكن هناك سفراء لانتيوخس لأن روما بارسالها سفراء لمصر ومقدونيا وعدم ارسالها لانتيوخس معناه أنها غير معترضة على تصرفاته فى تلك الفترة فقط هى تريد حياده وواضح أنه تصرف دبلوماسى يدل على ذكاء السياسة الرومانية لانها لا تريد أن تثير عداء سوريا فتتحالف مع مقدونيا وهذا ما لا تريده رومـا .

(١٦) الترجمة نقلا عن د . عبد اللطيف أحمد على — مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الوثائق البردية ص ٥ .

(١٧) د . عبد اللطيف أحمد على مصر والامبراطورية الرومانية ص ٥ .

(١٨) Bevan, History of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty, P. 256.

د . العبادى مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ص ٨٠ .

(١٩) Bevan, History of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty P. 256.

(٢٠) Vevan, Ibid., P. 257.

(٢١) د . العبادى : مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ص ٨٠ .

(٢٢) Vevan, History of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty, P. 257.

(٢٣) يذكر نفس النص أيضا ليفيوس وأبيانوس .

(٢٤) Rostovtzeff, social and Economic History of Hellenistic world. I.P.55.

(٢٥) Rostovtzeff Ibid., P. 56.

(٢٦) يصف ذلك أبيانوس فيقول أن الروديين ويومنيس ملك برجامة كانوا فرحين بالمعاهدة التى عقدت ضد أنتيوخس .

(٢٧) Rostovtzeff., Social and Economic History of Hellenistic world. I. P. 57.

(٢٨) Bevan, House of Seleucus II, P. 114 — 114.

(١٩) Bevan, House of Seleucus. II. P. 113 — 114.

(٣٠) Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic world. I. P. 57.

(٣١) Rostovtzeff., Social and Economic History of Hellenistic world. I. P. 57.

(٣٢) Rostovtzeff., Op. Cit. P. 57.

(٣٣) Rostovtzeff., Ibid. P. 56.

(٣٤) يذكر نفس النص بوليبيوس ويذكر أن البعثة قد أرسلت من قبل الملكين .

(٣٥) يوجد نص لديودور يوضح أن الاسكندريين أرسلوا فى استدعاء فيلوماتيور من قبرص وهذا دليل على أنه مقيم فيها منذ مبارحته لروما .

(٣٦) يوجد نص لبوليبيوس يوضح منح برقة لبطلميوس الصغير

(*) ويذكر نفس النص ديودور .

(٣٧) الترجمة نقلا عن د . عبد اللطيف أحمد على مصر والامبراطورية فى ضوء الوثائق البردية ص ١٠ .

(٣٨) F. Durrbach, choix d'Inscriptions de Delos. 1528

(٣٩) Fraser, Utolemic Alexandria P.

❊ ❊ ❊

المرحــلة الثانيــة

● ● بطلميوس الزمار

(٨٠ ـ ٥١ ق٠م)

● ● كليوباترة السابعة

(٥١ ـ ٣٠ ق٠م)



المرحلـــة التى تمتد من عام ٩٦ ق٠م الى عام ٣٠ ق٠م ٠ لانستطيع أن نقول انها تمثل علاقات بين مصر وروما ، ولكنها كانت بداية لمرحلة جديدة بدأت منذ تدخـل الرومـــان اثنــاء اعتــداء أنتيوخس الرابع على مصر عـــام ١٧٠ ق٠م وعـــام ١٦٨ ق٠م ومساعدتهم للملوك بطلميوس السادس وأخيه يورجتيس الثانى فى التخلص من سيطرة الملك السليوقى ٠

ويبدو أن روما عملت منذ ذلك الوقت على أن تثبت للحكام فى مصر أن الفضل يرجع اليها فى بقائهم على عروشهم لذلك بدأت من هذا التاريخ مايمكن أن نسميه بداية لسيطرة رومانية على مصر استطاعت روما أن توسعها وذلك ببذر بذور الشقاق بين الأخوين ثم بسيادتها على الأخ الأصغر (يورجتيس الثانى) منذ توليـــه الحكم الى أن استطاعت ـ بعد فترة المنازعات الاسرية التى انتهت عام ٨٠ ق٠م ـ أن تثبت على العرش بطلميوس الثانى عشر وهو الذى عرف بالزمار ٠

وفترة المنازعات الاسرية تلك كانت قد بدأت بوفاة يورجتيس الثانى وتخللها وصاية بطلميوس أبيون الابـــن غير الشـــرعى ليورجيتس الثانى بمملكته برقة الى الرومان التى آلت اليهم عام ٧٤ ق٠م ٠

وفى خلال العشرين عاما من ٩٦ حتى ٧٤ ق٠م ٠ لم تعين روما على برقة واليا رومانيا ولكن السيناتو أرسل كويستور لجمع الجزية من مدنها حيث فرضت ضريبة على النبات الطبى سيلفيون وكان المحصول الرئيسى لها ٠

ويبدو أن روما لم تضم برقة اليها مباشرة لخوفها على مصر من الوالى الرومانى الذى ستعينه فى برقة فهناك احتمال أن يمتد نشاطه حتى يستولى على مصر ويجعل من نفسه قوة رومانية قوية فى شرق البحر المتوسط تناهض روما معتمدا على ثروات مصر وبرقة ٠

وظلت برقة هكذا ولاية رومانية ولكن بدون حكم رومـــانى مباشر لها ولو أن روما تأخذ ماتريده منها من الأموال التى فرضتها عليها الى أن جاء الوقت مناسبا ـ كما سنبين فيما بعد ـ فى عام ٧٤ ق٠م ٠ عندما قام القائمون على الأمور فى رومـــا بحيلـــة دبلوماسية ذكية بأن أعلنوا ضم برقه نهائيا الى روما وتنفيذ وصية بطلميوس أبيون وذلك حتى يوحوا الملك مصر (بطلميوس الزمار) أن ينفذ مايريدون وهو دفع رشوة كبيرة لهم والا فستفعل روما نفس الشىء مع مصر أو على أقل تقدير سوف تكون مهددة بالقاعدة العسكرية الرومانية فى برقة ٠

تدخل الرومان فى تنصيب بطلميوس اسكندر الثانى ملكـــا على مصر فبعد أن توفى بطلميوس التاسع « سوتير الثانى » عام ٨١ ق٠م ـ بعد أن عاد لحكم مصر مرة أخرى ـ اصبحت زوجته برنيكى الثالثة ملكة مفردة على عرش مصر لأنه لم يكن لسوتير الثانى وريث شرعى ولكن وجد أن هنـــاك ابنا للملـــك بطلميوس أسكندر الأول فتولت روما تنصيبه ملكا على مصـــر ويذكر ذلك

أبيانوس فيقول (أن سولا « أمر » أن الاسكندر بن الاسكندر الذى كان ملكا على مصر وتعلم فى كوس وسلم لمثيريداتس وهرب منه الى سولا وأصبح مخلصا له أن يتوج ملكا على الاسكندرية) ٠

ووضح ذكاء السياسة الرومانية فى تعيين دكتاتور روما ملكا لمصر يكون عميلا له ومعترفا بفضله فلا يستطيع ان يحيد عن السياسة التى رسمتها له روما ٠

الفترة الأخيرة من حكم البطالمة التى انتهت بالتدخل العسكرى الرومانى وتحويل مصر الى ولاية رومانية عام ٣٠ ق٠م ٠ نستطيع أن نقسمها الى فترتين ٠ فترة حكم بطلميوس الزمار ثم الفترة التى حكمت فيها كليوباترة السابعة ونستطيع كذلك ان نستعرض تاريخ كل فترة على حدة لطرافة أحداثها حيث تميزت الفترة الأولى بأن أصبحت مصر تؤثر على سير الاحداث داخل روما نفسها او بمعنى آخر أصبحت ورقة رابحة يستطيع أن يلعب بها من يشاء من الساسة الرومان ليكسب معركة ضد خصم أو ليهزم غريما له ٠

أما الفترة الثانية وهى حكم تلك الملكة البطلمية فقد تميزت ليس بتأثير مصر على السياسة الرومانية فقط ولكن وصل الحال أن أصبحت روما تخاف من تلك الملكة وحقيقة لاتخاف من مصر ولكن تلك السيدة التى استطاعت أن تقلق العالم بأسره خلال فترة حكمها التى استمرت قرابة عشرين عاما ٠

ولكن تلك الفترة انتهت النهاية الطبيعية وسارت الاحداث فى مسارها الطبيعى واستطاعت الامبراطورية العظيمة أن تسيطر على تلك الدولة المنهارة التى لم يكن للسنوات التى سبقت انهيارها سوى بريق خاطف فى وسط ليل كان قد بدأ واستمر الظلام بعد ذلك واستمرت عجلة التاريخ فى سيرها الطبيعى ٠

بطلميوس الثانى عشر (الزمار)
٨٠ ــ ٥١ ق٠م

كما ذكرنا فان الفترة التى تقع بين وفاة يورجتيس الثانـى وبداية حكم بطلميوس الزمار قد تميزت بالصراع الداخلى من أجل العرش ولم يكن هناك نشاط خارجى يذكر ٠

بعد وفـــاة بطلميوس الحــادى عشر (الاســـكندر الأول) ٨٠ ق٠م ولم يكن له وريث شرعى كان هناك ابنان للملك بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) فنصب الاسكندريون الأول ملكا على مصر والثانى ملكا على قبرص ، ولما كان تعيين بطلميوس الاسكندر الثانى ــ الذى سبق حكمه حكم بطلميوس الزمار ــ من قبل روما كان لابد أن تسير تلك السياسة ويكون تعيين الملك التالى من قبلها أيضا ٠

ولما لم يحدث ذلك فقد بدأ حكم الزمار بالمشاكل لعدم رضاء روما عليه واستطاعت روما اختلاق قصة مضمونها أن الاسكندر الثانى قد ترك وصية يورث روما فيها مملكته بعد وفاته ٠

ولا نستطيع الشك أنه تردد الحديث فىروما عن تلك الوصية لأن شيشرون فى حديثه عام ٦٣ ق٠م اثناء معارضـــته قـــانون

الأراضى الذى اقترحه نقيب العامة رولوس عام ٦٤ ق٠م يشير الى تلك الوصية حيث يذكر أنه سوف يقال ٠ بعد قنصلية هؤلاء الرجال (يقصد بهما بومبى وسولا) أصبحت المملكة (المصرية) ملكا للشعب الرومانى بمقتضى وصية الملك اسكندر ٠

Post eosdem consules regis Alexandri testamento regnum illud populi Romani esse factum.

وهذا دليل على أنه تردد فعلا فى روما أن الاسكندر (الثانى) قد أوصى بمملكته للشعب الرومانى وكانت بداية مشاكل الزمار مع روما حيث أمضى حياته فى اثبات حقه أمام السيناتو ولأجل ذلك كان يرشو المحامين والقضاء(١) ٠

ولعل تلك الوصية مزيفة لأنه لم يذكر أن احدا قد رأى نصها فى الفترة التى طال الحديث فيها عنها والتى استمرت عشرين عاما(٢) ويبدو أن الرومان قد أشاعوا أن تلك الوصية قد تركها بطلميوس اسكندر الثانى عند سولا دكتاتور روما وأن هذا الملك قد حذا حذوه بطلميوس أبيون ٠

ولو كانت تلك الوصية صحيحة لسعى سولا والسيناتو بعد ذلك لتنفيذها وضم مصر الى الامبراطورية الرومانية ورغم عدم صحتها فانه كان من السهل تصديقها وذلك لرغبة الرومان فى ذلك وأيضا لما حدث من قبل فى وصاية بطلميوس أبيون بمملكته برقة للرومان ٠

ولكن يبدو أنه لم يكن هناك وصية فعلا وان كانت روما قادرة على اثبات وجودها وتنفيذها بالقوة لو ارادت ذلك(٣) ولكن هذا الادعاء يدلنا على شىء واحد هو أن روما كانت تنوى ضم مصر الى الامبراطورية منذ وقت بعيد ٠

ولم تعترف روما بالملك الجديد ولم تسع الى تنفيذ وصيتها وتركته فى قلق وخوف من خلعه عن عرشه .

ويدلنا تسويف روما هذا وتركها المسألة المصرية معلقة مدة كبيرة على سياسة روما الناجحة فهى من ناحية كانت تبث القلق فى نفس ملك مصر وبذلك تدفعه الى أن يقبل أى شىء حتى يفوز برضاء الرومان عليه ومن ناحية اخرى فان حالة التوتر تلك ستجعله يستنزف رعاياه لارضاء الرومان مما سيضيع الفرصة على مصر كى ينتعش اقتصادها وبذلك تصبح من الضعف بحيث يسهل الاستيلاء عليها .

وفى عام ٧٤ ق.م . نفذت روما وصاية بطلميوس أبيون بضم برقه الى امبراطوريتها ويذكر أيانوس انه فى العام التالى الاوليمياد ١٧٦ أخذت روما بطريق الوصاية بيثنيا التى تركها لهم نيكوميدس وقورينة التى تركها لهم بطلميوس الذى يدعى أبيون(٤) .

ولنا أن ندرك مدى خوف بطلميوس الزمار من تنفيذ روما لوصية كهذه فهذا يعنى أنه نذير ببداية تنفيذ روما وصيتها التى أعلنت عنها .

ومن الجائز أن الساسة فى روما قد استشعروا مدى رغبة بطلميوس ملك مصر فى التضحية بأى شىء وأى مبلغ من المال حتى يفوز برضائهم وكانت الرشوة متفشية فى روما فكانت حيلة ذكية حتى يدفع الزمار اكثر .

ولكن الزمار استطاع استغلال عداء النبلاء لحزب الشعب من جهة ثم الانقسام داخل حزب الشعب نفسه من جهة أخرى حتى يكسب قضيته وهى الاعتراف به ملكا على مصر .

فنجد أنه اتخذ جانب النبلاء أول الأمر لعلمه أنهم يعارضون ضم مصر للامبراطورية أو تحويلها الى ولاية رومانية وذلك حتى يقطعوا الطريق على حزب الشعب فلا يستطيع الحصول على ثروات مصر ثم بعد ذلك حينما علم الزمار باقتراح كراسوس وقيصر لمشروع ضم مصر للامبراطورية وكان يعلم عداء بومبى لهم ومساندة شيشرون الذى يمثل النبلاء من ناحية ويدافع عن بومبى من ناحية أخرى اتخذ أولتس جانب بومبى ودعاه لزيارة مصر وأغرقه بالهدايا ثم عندما وجد أن هناك تفاهما حدث بين بومبى وقيصر استطاع أن يكسب جانبهما معا بأن دفع لهم الرشوة وكسب استصدار القانون الخاص باعتراف روما به وبأحقيته فى تاج مصر وظل وراء بومبى يستمد مساندته له حين هرب من مصر حتى استطاع الاخير أن يرجعه الى مملكته ٠

ولتوضيح ذلك نجد أنه عند انشغال روما بحروبها الخارجية ومنازعاته الداخلية أبعدت الى حد ما مسألة العرش فى مصر عن السياسة الرومانية ولكنها عادت واحتلت جزءا من اهتمام القادة الرومان مرة أخرى عندما اقترح كراسوس عام ٦٥ ق٠م ٠ وكان متوليا منصب الكنيسورية أن يخضع مصر الى الامبراطورية الرومانية ٠

ويبدو أيه كلف به قيصر وكان ،توليا منصب الايديليه وبالطبع كان كراسوس معتمدا على تلك الاشاعة المترددة عن توريث الملك بطليموس اسكندر الثانى مصر لروما بعد وفاته كذلك كان معتمدا على الضعف الذى انتاب مصر بسبب منازعاتها الداخلية وتهالك بطلميوس الزمار على القادة الرومان وكان بوسع كراسوس أن يذكر الاسباب المقنعة لضم مصر فهى دولة غنية ويمكن الاعتماد على ثرواتها خصوصا للحصول على القمح وذلك لدرء خطر المجاعات

التى يسببها انقطاع استيراد الغلال كذلك فان مصر سوق لرجال الأعمال يمكنهم استثمار اموالهم فيها(٥) •

ويذكر سويتونيوس أن (قيصر) فشل فى ذلك بسبب معارضة حزب النبلاء •

Nec obtinuit adversante optimatium factione

ولاشك أن معارضة النبلاء تلك كانت بايعاز من بومبى الذى كان يخشى من نجاح قانون كهذا يجعل لمقترحى اصداره الحرية فى التصرف فى تلك الولاية (لأن اقتراح كراسوس وقيصر هذا القانون لم يكن الا لاتخاذ مصر قاعدة يناهضون منها بومبى) وكان بومبى فى ذلك الوقت يقوم بحربه فى الشرق ضد مثرايداتس ومعنى أن يحتل كراسوس وقيصر مصر بجيش موال لهم سوف تصبح خطرا على بومبى عند عودته من الشرق لأنها من الممكن أن تتحول الى قاعدة يلجأ اليها أى منهم ويستطيع محاربة بومبى منها أو على اقل تقدير تكون قاعدة يلجأ اليها من يريد اذا خشى على نفسه من بطش بومبى •

أما الحزب الارستقراطى فكان يرى أنه لم يحن الوقت بعد لضم مصر للامبراطورية الرومانية(٦) ولم يكن هذا عملا فى مصلحة روما أو وقوفا بجانب بومبى ومناصرته ولكن حتى لاتذهب خيرات مصر الى حزب الشعب مقترح المشروع •

ومهما تكن رغبة أى من زعماء الرومان فى ضم مصر وماكان يفيده شخصيا أو يفيده حزبه من ذلك فان مما لاشك فيه أن ذلك قد اقض مضاجع ملك مصر وجعله يسعى الى ارضاء الزعماء الرومان للاحتفاظ بعرشه والاعتراف به ملكا وبطلان تلك الوصية

المزعومة التى كان بوسع الرومان تنفيذها متى أرادوا ذلك ولكنهم جعلوها ورقة يلوحون بها للملك البطلمى فى مصر حتى يحصلوا على مايريدون لأن ترك أوليتس على العرش يعنى أن خيراتها سوف تؤول الى النبلاء والساسة الرومان وهم أعضاء السيناتو والطبقة الحاكمة فى روما ٠

ولم تكن تلك هى المرة الوحيدة أو الأخيرة التى يناصر فيها الحزب الارستقراطى بطلميوس الزمار ففى عام ٦٤ ق٠م تقدم نقيب العامة رولوس بايعاز من كراسوس بمشروع يدخل ضمنه ضم مصر الى الامبراطورية ويؤول تنفيذ هذا المشروع الى لجنة من عشرة أفراد ينتخبهم عدد من القبائل وكان الغرض من هذا المشروع هو القضاء على بومبى وذلك بتوزيع الأراضى - التى تشتريها لجنة العشرة - على العامة الفقراء وذلك قبل عودته حتى لايجد مايوزعه على جنوده ٠

وكان نصيب مصر من هذا المشروع هو الاستيلاء على ثرواتها وأموالها حتى يشترى بها اراضى فى ابطاليا لتوزيعها على الفقراء وحيث ان مصر لم تكن ولاية رومانية تدفع الجزية فان ما يخصها من هذا المشروع هو ضمها للامبراطورية وتظهر هنا براعة بطلميوس أوليتس الذى استطاع أن يكسب الى جانبه شيشرون الذى كان قنصلا فى عام ٦٣ ق٠م وتكلم نيابة عن الحزب الاستقراطى وفى نفس الوقت كان صنيعة لبومبى ٠

استطاع شيشرون أن يبين فى خطبه أن المشروع يعنى ثراء هؤلاء وفرصة لهم لاستغلال نفوذهم خلال تلك الفترة للحصول على الأموال ٠

وخطب شيشرون ضد مشروع الأراضى هذا لم تكن تختص بمصر فقط ولكنها كانت مهاجمة للمشروع من أساسه ومهاجمة لاعداء بومبى كذلك هى مهاجمة للقانون الذى بمقتضاه توضع سلطة مطلقة فى يد عشرة أفراد يعاونون رولوس نقيب العامة فى الاستيلاء على أموال لاحد لها من بيع أراضى الدولة واشرافهم على مقادير كبيرة من الأموال ٠

ولو نظرنا لما قاله شيشرون وهو يهاجم اسلوبهم بشأن معاودة الاستيلاء على مصر ضمن قانون الأراضى نجد أنه يقول (أن ما كان يسعى اليه صراحة أصبح الآن يغتصب بأساليب سرية ملتوية ٠ لأن لجنة العشرة بعد القنصلية الحالية سوف تقول ماسبق قوله مرارا وتكرارا من أن تلك المملكة (مصر) قد آلت لسلطان الشعب الرومانى بمقتضى وصية الملك اسكندر الثانى) ٠

ويقول ويذكر السناتو بأنهم يعطون الاسكندرية الى الاشخاص الذين رفضوا أن يعطوها لهم عندما طلبوها صراحة وذلك عندما يقول (وهكذا ستسلمون الاسكندرية اليهم عندما يسعون اليها سرا بالرغم من أنكم انكرتم ذلك على من أرادوا غزوها صراحة ٠

Dabitis igitur Alexandriam clam petentibus lis quibus apertissime pugnantibus restitistis ?

ويقصد شيشرون هنا رفض السيناتو لمشروع كراسوس الذى اقترحه عام ٦٥ ق٠م وكان غرضه صريحا أنه يقترح مشروعا لضم مصر أما الآن فهو يسعى الى ذلك تحت اسم قانون للاراضى ٠

ويذكر شيشرون فى مكان آخر من خطبه (ماذا عن الاسكندرية ومصر ؟ كيف تنكرونها وتبعدونها عن الطريق ؟ كيف تسلمونها فى الخفاء الى لجنة العشرة)

Quid ? Alexandria cunctaque Aegyptus ut occulte latet, ut recondita est, ut furtim tota decemviris traditur.

ويتساءل بقوله من منكم الذى يجهل ذلك ؟
Quis enim vestrum hoc ignorat.

ونجد أن شيشرون يشن هجومه على رولوس مقترح المشروع عندما يذكر (اذا كان رولوس يريد أن يكون صديقا للعامة فهو سوف يهدى المملكة للشعب الرومانى وأيضا لتطبيق قانونه سوف يبيع الاسكندرية ويبيع مصر وسوف نكتشف أنه الحاكم والحكم والمالك لكثير من المدن الغنية والأراضى الجميلة وبالاختصار ملك للمملكة العظيمة) .

ويسخر شيشرون من رولوس ويقول : (ولكنه لن يأخذ شيئا لنفسه لأنه لم يكن طماعا وسوف يقرر أن الاسكندرية ملك الكهان وليست ملكا للشعب الرومانى) .

Non sumet sibi tantum, non appetet; indicabit Alexandriam regis esse a populo Romano abiudicabit

ويعارض شيشرون المشروع قائلا :

أولا : لماذا العشرة الوكلاء الذين يقررون ارث الشعب الرومانى وأنتم اخترتم المائة ليفصلوا فى النزاع حول ارث الأفراد ؟

ثانيا : من الذى سيدافع عن قضية الشعب الرومانى ؟ وأين سيدافع ؟ من هم العشرة الأفراد (لجنة العشرة) الذين نستطيع أن نتنبأ أنهم من المحتمل أن يعطوا مملكة الاسكندرية الى بطلميوس أولا ؟

واذا كانت الاسكندرية هى المقصد فلماذا لا نتبع الأسلوب نفسه بأن نأخذها بالطريق المعروف وهو هنا يشير الى اقتراح كراسوس القديم عام ٦٥ ق٠م ٠

وهكذا بفضل دفاع شيشرون لم يصـدر قانـون الاراضى وبالتالى لم يصدر قانون خاص بمصر وظلت كما هى بدون الاعتراف بها دولة مستقلة وباحقية ملكها فى عرشه كذلك بدون ضمها وجعلها ولاية رومانية ٠

ولنا هنا أن شيشرون كما استطاع تعطيل اصدار قانـون يعارض مصلحة الزمار كان بوسعه ايضا أن يدافع عن الملك حتى يصـدر قانون فى صـالحه وأحقيته فى عرش مصـر ولكـن لا الارستقراطية الرومانية كانت تريد ذلك ولا بومبى صديقه كان يريد ذلك أيضا ٠ والذى اراد هو حزب الشعب ولمصلحة شخصية حتى تؤول لهم خيرات مصر ٠

بالغ الزمار فى تزلفه لساسة روما حينما أرسل لبومبى الهدايا وذلك عندما كان يحارب فى فلسطين وسوريا ودعاه لزيارة مصـر ويبدو أنه كان يريد بذلك أن يقدم عرفانه بجميل بومبى ويستحثه على المضى فى نفس الطريق وهو تأييده حتى يفوز باعتراف روما بـه ملكا على مصر ولكن بومبى رفض أن ياتى لزيارة مصر رغم دعوة الملك له ٠

ويبدو أنه وجد أن من الصعب التدخل فى أمور مصـر لأن الأحزاب جميعها لن يشكروا له تدخله كذلك كان من غير المشرف له وهو قاهر مثريداتس أن يكون حارسا للملك المكروه من رعاياه(٧) ٠

ورغم تزمر الاسكندريين من تصرفات ملكهم فانـه يبدو أن الشعب فى الاسكندرية كان يرهب روما أو مايتصل بها ويذكر ديودور الصقلى الذى زار مصر من عام ٦٠ الى ٥٦ ق٠م حادثة رآها هو بنفسه عندما كان الملـك بطلميوس يحمل لقب صـديق للشـعب الرومانى ٠

كان الناس فى الاسكندرية يقـــابلون اى زائر من ايطاليـا بحفاوه وتملق وكان خوفهم يرجع الى عدم رغبتهم فى ايجاد سبب للشكوى أو الحرب • وحدث أن قتل أحد الرومان قطة ـ وكانت حيوانا مقدسا ـ وزحفت الجماهير الى منزله ولم يمنعهم من عقاب الرجل أن الملك لم يرسل موظفا لاحضاره أو خوفهم من رومـا •

وتوضح تلك الحادثة ما أحسه ديودور نفسه من أن الشعب فى الاسكندرية كان يقابل الزائرين من ايطاليا بحفاوه متملقة وذلك حتى يتجنبوا عداء روما والحرب معها ويدل هذا على مدى خوف الاسكندريين من روما •

كذلك مايذكره من أن الرجل الرومانى لم ينقذه من الجماهير عدم ارسال الملك مندوبا عنه لاحضاره أو خوفهم من روما •

وهو هنا يوضح **أولا** : أن الملك ما كان يستطيع عقاب أى شخص رومانى •

ثانيا : مدى خوف الاسكندريين من روما حتى انه يمكن أن يصل هذا الخوف الى حد التنازل عن حق مقدس •

على أى الأحوال فقد ظل الوضع فى مصر على ماهو عليه حتى تولى قيصر القنصلية عام ٥٩ ق٠م • وكانت فكرة ضم مصر الى الامبراطورية ضمن أعماله السياسية ولكنه استطاع أن يستصدر قانون الاعتراف بالزمار وأحقيته فى تاج مصر لقاء رشوة كبيرة تقدر بـ ٦٠٠٠ تالنت(٨) •

وهكذا اعترفت روما ببطلميوس الزمار ملكا على مصر وأن يصبح حليفا للشعب الرومانى(٩) وذلك بفضل ما دفعه من رشاوى وكان قيصر الذى ينادى ويعمل على ضم مصر الى الرومان هو الذى

عمل على الاعتراف باستقلالها ووجود الزمار ملكا عليها لقاء تقاضيه الرشوة هو وبومبى ٠

وفى أعقاب ذلك فى عام ٥٨ ق٠م أى بعد عام واحد من الاعتراف بالزمار ملكا استطعت روما أن تضم قبرص الى الامبراطورية ويذكر ديون كاسيوس أن (كلوديوس) قرر أن الجزيرة ولاية من الامبراطورية وأرسل كاتو لادراتها ٠

ويوضح النص أن كلوديوس (وهو أحد نقباء العامة فى تلك الفترة) قد اقترح ضم قبرص للامبراطورية ٠ وقبل أن نتحدث عن مبررات كلوديوس فى ذلك يجدر بنا أن نذكر الظروف التى دفعته بايعاز من الحكومة الثلاثية أن يأخذ مسألة قبرص سببا للخلاص من شخصية كانت تناوئهم وهو كاتو الذى كانوا يريدون الخلاص منه وابعاده حتى لا يتهددهم خصوصا أثناء غياب قيصر عن روما لذلك اسندت اليه مهمة اقناع بطلميوس حاكم قبرص بالتنازل عن الجزيرة ٠

شىء آخر كان يهدف اليه كلوديوس وهو الانتقام من ملك قبرص الذى رفض فى عام ٦٧ ق٠م أن يفتديه من القراصنة وعلى مايبدو أن كلوديوس كان مستندا على الوصية السابقة التى تركها بطلميوس الحادى عشر (اسكندر الثانى) لأن روما حين اعترفت بالزمار ملكا على مصر لم يمس هذا الاعتراف حالة قبرص(١٠) التى كانت ضمن الوصية التى اختلقها الرومان من قبل ومن الجائز أن استيلاء روما على قبرص كان متفقا عليه بينها وبين بطلميوس الزمار بالاضافة للرشوة الكبيرة التى دفعها لأنه عند اعلان ضم روما للجزيرة لم يحرك ساكنا رغم انتحار أخيه ملك قبرص ٠

وحتى اذا لم يكن استيلاء روما على الجزيرة قد اتفق عليه

بينهما وبين ملك مصر فان مما لاشك فيه أن الزمار بعد كفاحه المرير من أجل الاعتراف به ملكا على مصر لن يستطيع أن يعترض لأن معنى اعتراضه أن يفقد تأييد الرومان ولم يمر على اعترافها به ملكا سوى عام واحد لذلك عمل على تأمين نفسه وعرشه فقط بينما ترك أخاه حاكم قبرص(١١) ٠

وعلى أية حال فان ضم الجزيرة كان تعويضا لروما عن تنازلها عن ثروة مصر وثمنا لاعترافها بالزمار ٠ وهكذا بعد ضم برقة عام ٧٤ ق٠م ثم ضم قبرص عام ٥٨ ق٠م الى الامبراطورية الرومانية لم يعد للبطالمة أملاك سوى مصر ٠

هذا الموقف من بطلميوس الزمار ناحية قبرص حيث لم يتحرك للدفاع عن الجزيرة رغم انتحار أخيه وجشعه المستمر فى تحصيل الأموال جعل رعاياه يتذمرون تذمرا شديدا ويثورون ضده حتى انه فر هاربا لاجئا عام ٥٨ ق٠م الى روما التى أصبحت ملاذا له من سخط الشعب فى الاسكندرية حيث يذكر ذلك ديون كاسيوس فيقول : (أنه بعد أن أعطى (الزمار) كثيرا من الأموال الى بعض الرومان جزء من تلك الأموال لم يكن يملكه وطلبه وجزء اقترضه لكى يثبت بهذه الطريقة دعائم حكمه ويحصل على تسمية صديق وحليف لقد أخذ الضرائب من المصريين عنوة وكانوا غاضبين منه لذلك أخبروه أن يسترجع قبرص من الرومان أو يخبرهم أنه لايريد صداقتهم ولكنه لم يرد ذلك ولم يستطع اقناعهم أو استعمال القوة معهم لاسكاتهم لأنه لم يكن يملك قوات مرتزقة لذلك فر من مصر وذهب الى روما متهما رعاياه بأنهم طردوه من مملكته) ٠

ويوضح النص مدى ما وصل اليه الهوان بهذا الملك البطلمى حتى انه يستجير من رعاياه بعدوه الأجنبى لأنه لا يستطيع طلب

قبرص من الرومان(١٢) أو أن يظل فى الاسكندرية فهرب الى روما مستعديا الرومان على شعبه متهما لهم بأنهم طردوه من مملكته . وذلك عندما لم يجد عددا كافيا من المرتزقة .

وفى طريقه الى روما ذهب لمقابلة كاتو فى رودس الذى نصحه الا يضع نفسه تحت رحمة الرومان وانه سوف يساعده ويوفق بينه وبين رعاياه(١٣) ولكن بطلميوس اكمل رحلته الى روما ٠

وسواء كان خروج الملك وذهابه الى روما بمحض ارادته أو هربا من رعاياه فى الاسكندرية فانه تصرف غير لائق بملك يخرج من بلاده ويلجأ الى اعدائه لاستنفارهم ضد رعيته ٠ والمؤكد أن روما كانت ستصدق مزاعمه وذلك حتى تكتمل خططها ٠

ظل بطلميوس الزمار مقيما فى روما منذ عام ٥٨ ق٠م الى عام ٥٥ ق٠م وكان يأمل أن بومبى وقيصر سوف يعيدانه الى مملكته بالقوة وقد عمل بدون كلل فى شراء ذمم رجال السيناتو بالرشوة أو الوعود ويقتل المبعوثين من الاسكندرية الى روما وانقطعت عنه موارد مملكته لذلك اقترض مبالغ كبيرة على أن يردها فى المستقبل واستدان تلك المبالغ من أحد رجال المال ويدعى رابيريوس بوستوموس (١٤) ٠

ويذكر شيشرون فى حديثه عن ملك مصر أن الذى استدان لم يكن عبدا لكنه كان ملكا ٠ ولم يكن عدوا للشعب الرومانى ولكنه واحد كان أمر عودته قد أعطاه السيناتو للقنصل ولم يكن ملكا ليس له علاقة بالامبراطورية ولكنه واحد (عقدت معه) معاهدة ورآها (رابيريوس) فى الكابيتول ٠

«non enim Latroni, sed regi Credidit, nec regi inimico populi Romani, sed ei, cuius reditum conslui mondatum a senatu videbat, nec ei regi, qui alienus ab hoc imperio esset, sed ei, quicum Foedus feriri in Capitolio viderat.

واضح من نص شيشرون السابق أن للملك علاقات بالشعب الرومانى ٠

nec regi inimico populi Romani

كذلك الحكومة لأن أمر عودته يعطيه السيناتو للقنصل ٠

Cuius redit un Consuli mandatum a Senatu videbat

وأثناء اقامـة بطلميوس فى رومـا لم يعرف الشـعب فى الاسكندرية أنه لجأ اليها وأقاموا مكانه على العرش ابنته برنيكى وعندما علموا بوجوده فى روما أرسلو بعثة برئاسة الفيلسـوف ديسون وكانت مكونة من مائة عضو لتشرح للسيناتو أن اتهامات الملك باطلة ويذكر ديون كاسيوس بـأن الاسكندريين عندما علموا بالحقيقة أرسلوا مائة رجل الى روما للدفاع ضد اتهامات (الملك) وشرح (للسيناتو) كل شىء قد عانوا منه ٠

ويوضح النص مدى ماوصلت اليه حالة مصر من الضعف والتفكك حتى أن الملك ورعيته يجعلان عدوهما بينهما ٠ كذلك يوضح أن الزمار لم يعد يهمه شىء سوى الاحتفاظ بعرشه حتى لو تعاون مع أعداء وطنه ٠

ونستطيع أن نقول انه لولا انشغال روما بأمورها الخاصة لما ظلت مصر حتى ذلك التاريخ مستقلة من الناحية الرسمية كذلك مدي ما وصلت اليه الاحوال المالية في مصر بسـبب هذا الملـك

المستهتر الذى لم يتوان عن ارضاء القائمين على الأمور فى روما لمجرد حصوله على عرشه فى الاسكندرية ٠

على أية حالة لم يعط الزمار فرصة لهذه البعثة لأن تشرح ماجاءت من أجله فقد أعوز لبعض الأشقياء بقتلهم واستطاع اقناع رئيس البعثة بعدم المثول امام السيناتو ثم تخلص منه هو الآخر بقتله ٠

نشأت فى روما مشكلة جديدة بالنسبة لمصر وهى من يعيد الزمار الى مملكته وتقرر فى عام ٥٧ ق٠م أن يعود الزمار بمساعدة روما ولكن لم يتقرر من الذى سيتولى هذه المهمة من القادة العسكريين أو القادة السياسيين من أعضاء السيناتو ٠ وتصارع القواد وتصارعت الاحزاب على القيام بتلك المهمة لما سيعود عليهم من مجد عسكرى وفائدة مادية ٠ فى تلك الاثناء غادر بطلميوس روما الى افيسوس منتظرا ما ستسفر عنه الاحداث وترك احد عملائه لتوزيع الرشاوى فى روما ٠

ونرى مناورات دبلوماسية غاية فى الدقة حدثت فى روما من أجل الفوز بمهمة اعادة بطلميوس ملك مصر الى وطنه فمن ناحية أراد بومبى صديق الزمار وكراسوس عضوا الحكومة الثلاثية كل منهما أن يعيد الزمار ومن ناحية أخرى قرر السيناتو اسناد تلك المهمة الى القنصل سبنثر وسانده شيشرون الذى كان شخصية بارزة فى الحياة الشخصية فى روما فى ذلك الوقت ٠ وذلك نظرا لعدائه لاعضاء الحكومة الثلاثية ٠

لقد أراد السيناتو اسناد المهمة الى قنصل ليس فى مكانة بومبى نظرا لقدرته العسكرية وشخصيته القوية فى روما وخوفهم

منه لو استطاع الاستئثار بمصر . ورغم الامتيازات التى كان قد أعطاها السيناتو لبومبى لتأمين امداد روما بالقمح فانه أراد أن يضيف الى ذلك نصرا عسكريا أخر .

ويذكر ديون كاسيوس أن أعضاء السيناتو لخوفهم من أن بومبى بحصوله على تلك المهمة سوف يظل قويا فقد عارضوه متعللين بقيامه بامداد (روما) بالغلال .

ولو أن بطلميوس لم يخف رغبته فى اختيار بومبى للقيام بتلك المهمة الذى تابع مناوراته لاستصدار قرار من السيناتو بذلك . وما كان من معارضيه الا أن استطاعوا بحيلة بارعة أن يشيعوا أن الالهة قد حذرتهم من اعادة بطلميوس ملك مصر بالقوة ولما كان من المحظور اذاعة النبوءات الا باذن من السيناتو فقد خشى أحد نقباء العامة من أن السيناتو سوف يتلاعب بها ومن الممكن عدم اذاعتها حتى يرسل من يريده مع ملك مصر فأسرع باذاعتها بدون أمر من السيناتو .

وبالطبع ظلت المناورات داخل السيناتو وخارجه وظلت الاقتراحات تتقدم والصراع قائما ويبدو أن السيناتو قد أصدر أمره فقط بتحذير اعادة الزمار بالقوة ولكن ترك الأمر معلقا من ناحية عودته الى وطنه .

وواضح مما سبق أن السيناتو كانت معارضته الشديدة لبومبى وخوفه الشديد من بومبى أكثر من سبنثر أو كراسوس ولكن بومبى بما أوتى من ذكاء استطاع أن يكسب تلك المعركة من زميله كراسوس ومن النبلاء أعضاء السيناتو بأن قام بمناورة دبلوماسية ذكية كان نتيجتها لجوء الملك البطلمى الى جابينيوس حاكم سوريا

الرومانى وأعدا اياه بمبلغ ضخم من المال (عشرة آلاف تالنت) وحاول أن يغريه فى أن يشترك فى مهاجمة مصر لاسترجاع مملكته ٠

ولا نستطيع أن نقرر أن جابينيوس قد استجاب لاغراء بطلميوس وأنه خالف القوانين الرومانية وأوامر السيناتو ولكن واضح أنها حيلة من بومبى عندما فشل هو بالاضطلاع بهذه المهمة حاول عن طريق آخر حيث كان جابينيوس من رجاله ونجح فى أن جعل بطلميوس يسأل جابينيوس اعادته الى وطنه وفى نفس الوقت طمأن جابينيوس بأنه سيحميه من السيناتو لأن خروجه من ولايته بدون اذن من السيناتو يعتبر مخالفة للقوانين الرومانية ولكن تأييد بومبى الذى كان قنصلا فى نفس العام (٥٥ ق٠م) وأقوى شخصية فى روما جعله يقدم على تلك المهمة وكان لابد من وجود سبب قانونى يستند عليه جابينيوس ويذكر بلوتارخ أن العذر الذى انتحليه جابينيوس لخروجه من ولايته هو خوفه من أرخيلاوس ٠

ويذكر شيشرون فى أثناء دفاعه عن جابينيوس أن (جابينيوس) قال انه يعمل لفائدة الامبراطورية وكان خائفا من أسطول أرخيلاوس وأيضا من القراصنة فى البحر ٠

وكان أرخيلاوس هذا شابا حضر من سوريا الى الاسكندرية بعد فرار الزمار وكان يشيع أنه ابن مثريداتس السادس وقد تزوج فى الاسكندرية من برنيكى الرابعة ابنة بطلميوس الزمار ويبدو أنه كان من رجال بومبى هو الآخر لأن ديون كاسيوس يذكر أن جابينيوس كان يمكنه منع الضرر من البداية بأن يقبض على أرخيلاوس ولكنه تركه يذهب الى الاسكندرية وبذلك وجد العذر القانونى الذى يبيح له الخروج بجيش رومانى من ولايته وأن يكون حر التصرف أثناء انجاز مهمته ٠

ويحدثنا ديون كاسيوس بأن جابينيوس لم يواف السيناتو بتقرير عن حملته بعد أن أعاد بطلميوس الى الاسكندرية ٠

ونستطيع أن نتبين من هذا التصرف مدى اطمئنان جابينيوس الى مساندة بومبى له وهو ممثل السلطة فى روما (٥٥ ق٠م) ومن ناحية اخرى مدى تاثير بومبى على الاوضاع فى روما ٠

ويرينا ماحدث مدى تأثير المسألة المصرية على السياسة الرومانية والقادة الرومان حتى ان مصر لم تتأثر فقط بالحالة فى روما ولكنها أثرت فيها أيضا حيث يذكر شيشرون مايدل على أن هناك ارتباطا بينه وبين بومبى وجابينيوس وهذا يوضح ذكاء بطلميوس الزمار الذى كان على علم بحقائق الانقسام الحزبى داخل روما واستغل ذلك الانقسام فى كسب جانب بومبى واللجوء الى جابينيوس ثم دفاع شيشرون عن جابينيوس ارضاء لبومبى ٠

واخيرا عاد بطلميوس الزمار الى مصر بعد أن ظل خارجها من عام ٥٨ ق٠م الى عام ٥٥ ق٠م بمساعدة جابينيوس الرومانى الذى كان على رأس فرسانه ماركوس انطونيوس ٠

الحلقة الأخيرة من حكم الزمار التى تمتد منذ عودته عام ٥٥ ق٠م الى وفاته عام ٥١ ق٠م ٠ عمل فيها هذا الملك كل مايستطيعه كى يحتفظ بعرشه وكان ماهو أسوأ من ذلك وهو تعيينه لدائنه الرومانى رابيريوس وزيرا للمالية وهو الذى اقترض منه الملك أموالا ضخمة عندما كان لاجئا فى روما وانقطعت عنه موارد مملكته وذلك حتى يستطيع شراء كل من يستطيع مساعدته فى استرجاع مملكته وعرشه ٠

ونستطيع أن نعرف صلة رابيريوس بالزمار من خلال الخطبة التى القاها شيشرون التى يدافع فيها عنه عندما اتهم فى قضايا الرشوة التى دفعها الملك المصرى ·

وترجع علاقة الزمار بالممول الرومانى رابيريوس الى عام ٥٩ ق·م عندما استدان منه ملك مصر الأموال لدفع الرشوة لقيصر وبومبى · ويذكر شيشرون أن (رابيريوس) قد أقرض مبالغ كبيرة من قبل الملك الاسكندرية ·

huic ipsi Alexandrino grandem iam ante, pecumiam credidit.

وواضح من حديث شيشرون أنه يقصد المدة قبل لجوء الملك الى روما لأنه يذكر بعد ذلك أن الملك قد طرده رعاياه · ولجأ الى روما ·

وعندما لجأ الزمار الى روما عام ٥٨ ـ ٥٧ ق·م · وانقطعت عنه موارد مملكته استدان مبالغ كبيرة من رابيريوس ويذكر شيشرون أن رابيريوس قد فهم مايريده (بطلميوس) · أن الملك كان فى حاجة (للمال) ولجأ اليه ·

ويذكر شيشرون أيضا أن (رابيريوس) قد فكر فى أن قرضه لم يكن يحوطه أى خطر حيث لم يشك أحد فى أن الملك فى طريقه لأن يعيده السيناتو والشعب الرومانى ·

quod erat nemini dubium quin is in rêgnum restituéretur a senatu populoque Romano·

ويضيف شيشرون أن رابيريوس لم يعط هدايا وقروضا فقط ولكنه ذهب الى أبعد من ذلك حيث لم يقرض أمواله الخاصة بل أموال أصدقائه ·

لقد كان المقترض ملكا وقد استمر فى طلب (المال) وأسرف فى الوعود وأخيرا خاف رابيريوس أن يفقد المال الذى اقرضـــه لبطلميوس الزمار ٠

وظل أوليتس فى روما يقترض من رابيريوس ليرضى جشع الزمار ٠ وبعد عودته ظل يستنزف رعايه حتى يستطيع أن يوفـــى ديونه الكثيرة ولكن رابيريوس لم يمهله وجاء اليه فى الاسكندرية حتى يستطيع الحصول على أمواله ٠

ويذكر شيشرون أن بوستوموس عندما وصل الى الاسكندرية اقترح عليه الملك أن السبيل الوحيد ليضع يده على ثروته هـو أن يقوم بتدبير الوزارة حيث كان يأتى اليها العوائد الملكية ٠

Nam ut ventum est Alexandriam, iudices, haes cuna ratio a rege peoposita Postumo est servendae Pecuriae, Si Curationem et quasi dispensationem regiom Suscepisset ; id autem Facere non poterat nisi dioecetes-hocenim nomine utitur qui ea regit-esset constitutus.

وواضح استهتار الزمار وتبعيته المطلقة لروما ، لذلك قامت ثورة الشعب فى الاسكندرية ضد رابيريوس وذلك قبل أن يمر عام على وجوده بها لما فعله رابيريوس معتمدا على حماية القوات الرومانية الموجودة فى الاسكندريـة فى اسـتغلال النـاس الذين يدفعون الضرائب ٠

وهرب رابيريوس من الاسـكندرية ولكن بالطبع لم يهـرب قبل أن يحصل على ديونه وأن يتمكن من تهريبها الى الخارج(١٥)

ولم يعمر أوليتس طويلا بعد ذلك وتوفى عام ٥١ ق٠م بعد أن حكم ثلاثين عاما كان عبئا على رعيته وكان يعلم أنه مكروه من شعبه ويذكره سترابون ضمن أسوأ ملوك البطالمة وهم الرابع والسابع (يورجتيس الثانى) ولخوف الزمار على ابنائه من شعب الاسكندرية ترك وصية وضعت نسخة منها لدى بومبى توصى بأن يتولى الشعب الرومانى تطبيقها بعد ذلك لخوفه من قيام الاسكندرية بتنصيب ملوك غير أولاده على عرشه ٠

هوامش

(١) Bouché — leclereq, Histoires des Lagides, II, P. 125.

(٢) Bouché — leclereq, Ibid. P. 125.

(٣) د. العبادى ـ مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى ص ٩٦ .

(٤) يذكر أبيانوس أيضا ان مصر اصبحت الدولة الوحيدة المستقلة فى حوض البحر المتوسط .

(٥) د. عبد اللطيف على ـ التاريخ الرومانى ـ عصر الثورة ص ١٤٦

(٦) Bouché — leclercq, Histoire des lagides, II, P. 125.

(٧) Bouché — Lecercq, Histoire des Lagides, II, 134.

(٨) ut qui uni Ptdemaeo prope sex milia talentorum suo Pompeiqui nomine abstulerit.

(٩) يذكر شيشرون جملة تدل على انه كانت هناك معاهدة تحالف بين مصر وروما . وشيشرون فى هذا النص يتحدث عن استدانة الملك بطلميوس (الزمار) من رجل المال الرومانى رابيريوس ويذكر عن الملك أنه (ليس ملكا لاتربطه علاقة بالامبراطورية ولكنه واحد رأى (رابيريوس) معاهدة « باسمه » توضع فى الكابتول) .
ne ei regi, qui alienus ab hoc imperio esset, Sed ei, qui cum oedus Feriri in Capitolio viderat.

(١٠) Vevan, Hstory of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty, P. 353.

(١١) Bouché — leclercq, Histoiredes Lagides, II, P. 138

(١٢) Bouché — Leclereq, Histoire des Lagides, II, P. 142.

(١٣) ذهب بطلميوس لزيارة كاتو فى رودس لما عرف عنه من نزاهة حيث كان أشد خصوم الحكومة الثلاثية المسيطرة على الامور فى روما فى ذلك الوقت ويصف بلوتار مقابلة كاتو للملك بما يدل على استهانته به وذلك لأنه ملك ويفعل ذلك ضد رعيته • فقد دعا كاتو بطلميوس لزيارته اذا كان يريد وعندما حضر اليه بطلميوس لم يذهب لمقابلته أو يقف لتحيته ولكنه حياه كفرد عادى ودعاه للجلوس ورغم أن بلوتاخ يذكر أن كاتو كان مريضا فان وصفه للمقابلة يوضح أنه كان مستهينا بملك مصر •

(١٤) Vevan, History of Egypt Under The Ptolemaic. Dynasty P. 355.

(١٥) Vevan, History of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty, P. 351.



كليوباترة السابعة
(٥١ ــ ٣٠ ق٠م)

لقد قيل فى كليوباترة الكثير وذلك نظرا لانفراد عصرها بظاهرة فريدة وهى أنه كان ومضة مضيئة فى ظلام حالك احاط بمملكة البطالمة منذ عهد بطلميوس الرابع وكان نهايته فى عهد بطلميوس الزمار الذى تقلصت فى عهده تلك الامبراطورية الواسعة حتى أصبحت لا تتعدى حدودها مصر فقط ٠

لقد ترك الزمار المملكة المصرية منهارة تماما وتابعة بصورة فعلية للرومان ولو انها كانت ماتزال من الناحية الرسمية دولة مستقلة ٠

لقد انهار اقتصادها بسبب ديونه لاعضاء الاحزاب الرومانية وذهبت كرامتها نتيجة لامتهانه نفسه عند دخول القوات الرومانية عندما ساعده جابينيوس فى استعادة عرشه عام ٥٥ ق٠م ٠

ووسط تلك الظروف ارتقت كليوباترة وأخوها بطلميوس الثالث عشر عرش مصر وحالتها سيئة فكان عصرها عصر انتعاش مؤقت للسياسة المصرية ٠

لقد أوصى الزمار بأن يؤول العرش بعد وفاته الى كبرى بناته وهى كليوباترة على أن يشاركها أخوها بطلميوس الرابع عشر وكان قد أوصى أن تتولى روما تنفيذ وصيته تلك ٠

ويذكر قيصر أن وصية بطلميوس كانت أن يخلفه أكبر ابنيه الاثنين وكبرى ابنتيه وناشد بطلميوس الشعب الرومانى أن يكونوا مشرفين على الوصية وارسل نسخة منها مع مبعوثين الى روما لتوضع فى السجلات العامة ولكنها لم توضع هناك بل أودعت لدى بومبى والنسخة الثانية تركت لاعلانها فى الاسكندرية ٠

وواضح من النص أن بطلميوس الزمار كان يخشى الجانبين ٠ لقد كان يعلم أن الاسكندريين يكرهونه لذلك عين الشعب الرومانى راعيا للوصية التى وضعت لدى بومبى وكان ذلك يظهر للاسكندريين أن روما مشرفة عليهم(١) وترك نسخة منها فى الاسكندرية حتى لاتقيم روما من تريده على العرش فى مصر ٠

على أى الاحوال فقد بدأ عصر كليوباترة بالاضطرابات ٠ ففى عام ٤٩ ق٠م اثناء احتدام الحروب الاهلية بين بومبى وقيصر وكان قيصر حينئذ متقدما داخل ايطاليا وانسحب بومبى منها ولم يكن لديه قوات كافية لمواجهة خصمه ارسل فى طلب النجدة من مصر ويذكر قيصر أن بومبى (الابن) قد أحضر ٥٠٠ من قوات جابنيوس من الاسكندرية غاليين وجرمان وهم الذين تركهم جابنيوس لحماية الملك بطلميوس ويذكر قيصر أيضا أن بومبى قد أحضر قمحا من مصر ٠

كذلك يذكر أن جنايوس ابن بومبى كان قائدا للسفن المصرية كذلك يذكر أبيانوس انه قيل ان (بومبى) قد أحضرت له ستون سفينة من ملوك مصر كليوباترة وأخيها الذى كان مايزال صغيرا ٠

وتوضح النصوص السابقة أن كليوباترة واخاها قد أمدا ابن بومبى بقوات كانت من حامية جابينيوس التى تركها فى مصر لحماية والدهم حين عودته الى الاسكندرية(٢) كذلك أعطوا جنايوس بومبى ستين سفينة وكمية من القمح ٠

ويبدو لنا أن بومبى كان محقا فى طلبه الامدادات من ملوك مصر فهو قد ساعد والدهم عند عودته للاسكندرية من روما عام ٥٥ ق٠م عندما حضر اليها مدعيا طرد شعبه له ٠ كذلك ساعده للاحتفاظ بعرشه وكان لزاما على كليوباترة وأخيها أن يساعدا من ساعد أباهما ٠

نرى أن ذلك كن أول اتصال للملكه المصرية بالرومان ٠ وقد حدث من جراء ذلك أن القائمين بالامور فى الاسكندرية قد استغلوا مساعدة كليوباترة لبومبى وامداده بالقوات والمئونة فى اثارة الشعب ضدها وذلك بأن اتهموها أنها تحاول اغتصاب العرش من اخيها فاضطرت للفرار من الاسكندرية ٠

فى تلك الاثناء كان قيصر قد انتصر على بومبى فى معركة فارسالوس عام ٤٨ ق٠م وفر الاخير محتميا بالاسكندرية على أمل أن يساعده ملوكها كما ساعد هو والدهم من قبل عام ٥٩ ق٠م وصدر بفضله (هو وقيصر) قانون الاعتراف بالزمار ملكا ثم كان السبب المباشر فى استرجاعه مملكته وعودته اليها عام ٥٥ ق٠م وكان بطلميوس الثالث عشر بن الزمار يعتبر مدينا له بذلك ولكنه تصرف تصرفا غير لائق وهو قتل بومبى عندما لجأ الى الاسكندرية ٠

وما يجب أن نحكم على بطلميوس انه ناكر لجميل الرجل الذى ساعد أباه اذا عرفنا الدافع من وراء قتله للقائد بومبى فمن

المؤكد أنه كان يخشى حضور قيصر فى أعقاب بومبى وتصبح الاسكندرية ومصر كلها ميدانا للحرب بين القواد الرومان ٠

وقد فعل ذلك لاثبات حسن النية لقيصر وأنه لايكن له عداء والدليل على ذلك مايرويه بلوتارخ من أنه بعد نزول قيصر للاسكندرية قدم له ثيودوتوس احد المقربين للملك رأس بومبى لاثبات عدم تحالف الملك مع عدوه ٠

ويذكر قيصر نفسه السبب الذى جعل الاسكندريين يتخلصون من بومبى وهو « خشيتهم أن يستولى بومبى على الاسكندرية ومصر بعد أن يتحد مع الجيش الملكى » ٠

Sollicitato exercitu regio ne Pompeius Alexandriam Aegyptumque occuparet.

والجملة توضح أن قيصر كان يتوقع اتحاد بومبى مع الجيش فى الاسكندرية ويبدأ فى محاربته مرة ثانية ولعل ذلك هو سبب خوف الملك البطلمى منه واقدامه على التخلص منه ٠ ولكن قيصر لم يبال بذلك رغم علمه بمقتل غريمه ونزل الى الاسكندرية وعندما علم بالخلاف الذى بين الملك والملكة نصب نفسه حكما بينهما على أساس أنه ممثل روما التى جعلها والدهما مشرفة على تنفيذ وصيته ٠

ويجب أن تكون لنا وقفة هنا مع موقف قيصر هذا ونزوله للاسكندرية حيث انه لم يكن هناك داع لنزوله بعد أن اثبتت مصر بقتلها لبومبى انها موالية له ٠ ثم قيامه بالتحكيم بين الاخوين وبقائه فى الاسكندرية تلك المدة الطويلة ٠

لو نظرنا لاحوال قيصر وظروفه كقائد منتصر لتوه وقابض على امبراطورية تحكم العالم كله تقريبا علاوة على انه لم يزل هناك

خطر يتهدده من انصار بومبى فكان لزاما عليه أن يرحل بسرعة الى وطنه حتى يضع الأمور فى نصابها بعد اتمام انتصاره على غريمه بومبى ولكنه رغم ذلك ظل فى الاسكندرية ·

ومن المؤكد أن تصرف قيصر هذا فى نزوله للاسكندرية لم يكن تصرفا بعيدا عن الصواب فقد نزل الى الاسكندرية فى مظهر يدل على انه ينزل ولاية من الولايات الرومانية ومن الجائز أنه رأى أن يظهر للشعب فى الاسكندرية أن روما فى استطاعتها – لو أرادت – أن تضم مصر فى أى وقت تشاء الى امبراطويتها ان قيصر كان عنده الاسباب التى يمكنه أن يتعلل بها فى نزوله للاسكندرية فقد رأى أن مصر أغنى دولة فى ذلك الوقت يمكن أن يستفيد بأموالها معتمدا على انه دائن للملك بطلميوس الزمار والد الملك الحالى ·

ويذكر بلوتارخ أن والد الملك الحالى (بطلميوس الزمار) كان مدينا لقيصـــر بسبعة عشر مليون وخمسمائة ألف دراخمة وحيث ان قيصر كان قد تنازل من قبل عن جزء منها لابناء (بطلميوس الزمار) فانه الآن يطالب بدفع عشرة ملايين لأجل امدادات جيشه ·

ويبدو لنا أن قيصر كان بوسعه أن يحصل على أمواله أو ديونه بدون البقاء فى الاسكندرية لأن بلوتارخ يذكر فى نفس للنص أنه عندما طلب منه بونانيوس وزير المالية أن يرحل عن الاسكندرية وأن يلزم شئونه الأهم من ذلك وتعهد له بأن يرد كل ديونه رد عليه قيصر بأنه لايحتاج الى نصيحة من أحد الخدم المصريين ·

وواضح أن قيصر كان غرضه أكبر من أن يحصل على ديونه فقد كان يريد أن يثبت دائم النفوذ الرومانى لأنه أرسل فى احضار كليوباترة سرا وذلك للتوفيق بينها وبين أخيها وهو بهذا يؤكد حق

روما فى تطبيق وصية بطلميوس الزمار وممارسة السلطة على ابنائه ٠

ومن هنا تبدأ علاقة قيصر بكليوباترة التى قلبت ميزان القوى خلال الفترة التالية والتى استمرت قرابة الستة عشر عاما فقد كانت على علم بان مملكتها لاحول لها ولاقوة بجانب تلك الامبراطورية العظيمة ٠ وكانت تعلم تماما انها لن تستطيع مقاومة تلك القوة الكبيرة التى تسيطر على العالم أجمع ويرهبها جميع الحكام والملوك ٠

ويبدو أيضا أن كليوباترة لم تستطع ان تقاوم حبها للسلطان ورغبتها فى استعادة أمبراطورية أجدادها ٠ واخيرا فانها كانت تعلم أنها بأسلحتها وقواتها لن تفلح فى تحقيق أهدافها وكانت تدرك تماما أن لها أسلحة أخرى تستطيع أن تحقق بها ماتريده وتدرك أيضا انها ماهرة فى استخدامها ٠

لذلك بدأت علاقتها بالقائد الفاتح لا كعلاقة قائد منتصر بملكة مغلوبة على أمرها تحكم مملكة واهنة بل استطاعت هى أن تبدأ تلك العلاقة بوصفها امرأة وبوصفه رجلا تستطيع أن تسيطر عليه وتطوعه لرغباتها ٠

وقابلت رغبة كليوباترة هذه ميولا من قيصر وذلك حين استدعاها هى واخاها فجاءت اليه ملفوفة بسجادة وكانت البداية بين القائد العظيم والملكة الجميلة ٠

واستدعى قيصر الأخ بطلميوس الثالث عشر ودعا الجمعية الشعبية للاجتماع وقرأ عليهم وصية بطلميوس الزمار وأعلن للشعب تنفيذها ويذكر ديون كاسيوس (أن قيصر وصل الى الجمعية

الشعبية وقدم بطلميوس وكليوباترة وقرأ عليهما وصية أبيهما بأن يعيشا معا تبعا للتقاليد المصرية وأن يكون الشعب الرومانى وصيا عليهما) ٠

وواضح من سير الاحداث السابقة أن قيصر قد اغتنم الفرصة لكى يفرض حمايته على مصر بالرغم من انه فى حديثه نفسه قد وعد الشعب فى الاسكندرية أن يرجع لهم قبرص على أن يتولى حكمها بطلميوس الأخ الأصغر للملك وأرسينوى الأخت الصغرى لهم ٠

وكانت قبرص قد اخذها الرومان من عشر سنين(٣) وعادت بأعجوبة مرة ثانية الى مصر(٤) رغم أن هذا التصرف قد جلب على قيصر غضب الرومان ٠

ومن ينظر الى تلك الخطوة لا يستطيع انكار دور كليوباترة فيها فقبرص على مايبدو كانت جزءا عزيزا من امبراطورية البطالمة وكانت ولاية تابعة لها ولم تفقدها سوى عام ٥٨ ق٠م ٠ وذلك بعد أن اعترفت روما ببطلميوس الزمار ملكا على مصر وكانت قبرص ضمن الوصية التى اشاعتها روما بأن الاسكندر الثانى قد أوصى بمملكته الى الشعب الرومانى ٠

وبالطبع كانت تلك الوصية تشمل قبرص وعند الاعتراف ببطلميوس الزمار ملكا شرعيا لم يمس هذا الاعتراف حال قبرص وكان من مصلحة روما أن يكون لديها مصدر للثروة كذلك كان من مصلحة القائمين على الأمور فيها ضم قبرص لذلك أعلنوا ضمها عام ٥٨ ق٠م ٠

لقد كانت استعادة قبرص ترفع الروح المعنوية للشعب فى الاسكندرية لذلك حرصت كليوباترة فى أول الأمر على رجوع هذا

الجزء الى مصر ومن الجائز أن ذلك كان تصرفا ينم عن دبيلوماسية من قيصر حتى يكسب الاسكندريين الى صفه الا ان الشعب فى الاسكندرية قد ثار عليه بايعاز من يوثانيوس ورجال البلاط وكان يوثانيوس وزيرا للمالية وأشاع أن قيصر قد حضر للاسكندرية ليقيم كليوباترة ملكة مفردة وأن قيصر قد حضر دائنا لمصر ومن ثم سوف يعمل على اخذ ثرواتها .

كان من الطبيعى أن تنجح اشاعات يوثانيوس نظرا لاحساس الاسكندريين بالعلاقة بين قيصر وكليوباترة كذلك لعلمهم ان قيصر قد أخذ رشوة كبيرة من بطلميوس الزمار عام ٥٩ ق.م. ثمنا لعودة الأخير الى مملكته .

ثار الشعب فى الاسكندرية وقامت مايسمى بحرب الاسكندرية بين قيصر وجنوده من ناحية والملك وجنوده فى الجانب الآخر ويذكر بلوتارخ أن البعض قال ان سببها هو قيصر بتأثير كليوباترة وكانت مجازفة منه والبعض الآخر يلقى اللوم على جانب الملك وخصوصا يوثانيوس الذى كان له التاثير الأكبر فى البلاط البطلمى وهو الذى قتل بومبى وابعد كليوباترة وكان يعمل سرا فى التآمر على قيصر .

وواضح أن السبب فى الحرب هو الملك والاوصياء لأن يوثانيوس كان قد طلب من قيصر الرحيل وانه سيوافيه بأمواله ولكن قيصر رفض ويبدو أنهم علموا أن قيصر قد ارسل فى استدعاء كليوباترة وهى التى ثاروا عليها وابعدوها عن العرش من قبل .

ورغم قلة عدد الجيش الرومانى والمواقف الحرجة الكثيرة التى وقع فيها قيصر فانه استطاع أن ينتصر على جنود الاسكندرية وقد قتل الملك فى تلك الحرب .

بعد ذلك نفذ قيصر وصية الأب وأقام كليوباترة ملكة ومعها أخوها الأصغر بطلميوس الرابع عشر بدلا من الملك الذى قتل وأعطى لمصر قبرص كولاية تابعة لها ٠

مما سبق نستنتج أن قيصر نزل الى الاسكندرية لفرض حمايته على مصر وأقام من نفسه حكما بين الأخوين حتى يستطيع أن يواصل تلك السلسلة التى لم تنقطع منذ أن اشترك هو وبومبى فى اعادة الزمار وتثبيته على العرش الى أن نفذ وصية الأب وجعل روما هى الحكم الدائم فى الخلافات بين الاسكندريين وملوكهم كما كان فى عهد الزمار ٠

بقى أن نبحث : لماذا ظل قيصر فى الاسكندرية تلك المدة الطويلة رغم ظروفه التى كانت تحتم أن يعود الى روما حتى يستطيع أن يتدارس أمور تلك الامبراطورية الكبيرة التى كان سيدا لها من مدة قصيرة ٠

ولا نستطيع أن نقول أن كليوباترة وافتتانه بها هى السبب الوحيد لمكوثه فى الاسكندرية تلك المدة الطويلة رغم أن شيشرون يقول فى احدى رسائله لصديقه أتيكوس وترجع الى ١٩ يونية عام ٤٧ ق٠م ٠ (أنه « شيشرون » يعتقد أن هناك عقبة فى طريق عودة قيصر) ٠

Valde esse imedimentum

ويرى أحد الكتاب أن شيشرون يعنى بـ impedimentum كليوباترة(٦) وما عرفناه من عداء شيشرون لقيصر فاننا يجب أن نتوقع هجومه عليه ولا نأخذ بأن كليوباترة كانت السبب الوحيد لبقاء قيصر فى الاسكندرية فمن الجائز أن الاسكندريين قد عاجلوه

بالحرب وأنه انتظر حتى تنتهى تلك الحرب ليأخذ مايريد من الأموال من كليوباترة بحجة محاربة أبناء بومبى وانصاره ٠

كذلك الرحلة التى قام بها مع كليوباترة للصعيد من الجائز أنه قام بها ليتعرف على أحوال مصر(٧) وليضع يده على ثرواتها ٠

وعلى أى الاحوال فقد سببت له اقامته الطويلة التى دامت حوالى تسعة شهور فى مصر كثيرا من الاحراج وعرض موقفه فى روما للخطر وكان مثلا سيئا اتبعه أنطونيوس من بعده(٨) ٠

بدأت علاقة قيصر بكليوباترة تتخذ شكلا جديدا فلا هى علاقة قائد منتصر بملكة مقهورة ولا هى علاقة بين رجل وامرأة ولكنها علاقة حاولت كليوباترة من خلالها أن تفيد منها لتحقيق طموحها ٠٠ فقد أنجبت خلال اقامة قيصر فى الاسكندرية ابنها الذى اسمته قيصر وأطلق عليه الاسكندريون اسم « قيصرون » ٠ ويذكر بلوتارخ انه بعد مدة قصيرة (من اقامة قيصر فى الاسكندرية) أنجبت (كليوباترة) ابنا منه ٠ الذى أسماه الاسكندريون قيصرون وذهب قيصر الى سوريا ٠

ومما لاشك فيه أن كليوباترة قد ارادت أن تجنى شيئا من وراء انجاب هذا الطفل ثم نسبه الى قيصر وواضح أن كليوباترة قد بدأت احلامها تكبر عن مجرد أن تكون ملكة لمصر وصاحبة دولة مستقلة فقط ٠

ويعترضنا هنا سؤال وهو لماذا لم يضم قيصر مصر للامبراطورية الرومانية اثناء تلك الفترة رغم مانراه من ظواهر واضحة من أنه كان فى استطاعته ضمها بسهولة ؟

ونعود الى عام ٦٤ ق٠م عندما اقترح كراسوس ضم مصر واعترض عليه الحزب الارستقراطى وكانت النتيجة عدم ضم مصر رغم ماكانت عليه من ضعف فى تلك الايام وكما ذكرنا فان سبب عدم ضم مصر للامبراطورية فى عهد الزمار واعتراض الحزب الاستقراطى ونجاحه آخر الأمر ليس حبا فى مصر ولا انتصارا للحرية ولكن حتى لا تؤول ثروات مصر الى لجنة العشرة التى اقترحها كراسوس ووقتها عارض المشروع الكثيرون ومن بينهم قيصر الذى أفاده اعتراضه اكبر افادة وهى أخذ الرشوة الكبيرة من بطلميوس الزمار أما الآن وهو يستطيع ضمها بسهولة وهو ديكتاتور روما وسيد العالم وكانت عنده فرصة مواتية وحجة يمكنه أن يتذرع بها وهى محاربة أهل .الاسكندرية وملكها والجيش له ٠

وكان يمكنه أن يقول بأن الاسكندرية تناهض روما ويضمها الى سلطانه ورغم ذلك لم يخط أى خطوة فى سبيل ذلك ٠ لماذا ؟

كذلك هناك ظاهرة أخرى ٠ لقد ترك قيصر ثلاث فرق فى الاسكندرية عندما غادرها كما ترك جابنيوس قواته قبل ذلك عام ٥٥ ق٠م فما معنى أن تكون مصر دولة مستقلة وهى تابعة سياسيا لروما وبها من الجنود الرومان والقوات الرومانية مايخيف الشعب ولا يجعله يشعر بالاستقلال ٠

لقد كان واضحا أن وجود القوات الرومانية يعنى أنه لو أن الحكام فى مصر ظلوا مخلصين لروما فستظل تلك القوات تحميهم أما اذا قاموا بأى عصيان فان نفس القوات سوف تقضى عليهم(٩) ٠

ومن الواضح أن لكليوباترة وتأثيرها الشخصى على قيصر دورا كبيرا فى الابقاء على هذا الاستقلال الاسمى لمصر(١٠) وبدلا من

ضم روما أعلن قيصر رد قبرص التى أخذها الرومان من مصر منذ عشر سنوات ولا ينبغى أن نشتط فى حكمنا على قيصر ونقول ان كليوباترة وتأثيرها كان السبب الوحيد لعدم ضم مصر لروما ولكن نستطيع أن نقول أن قيصر قد جرب أن الاستفادة من مصر وهى مستقلة لاتقل عند استفادة روما منها وهى ولاية ٠

ورغم أن بعض الرومان كان يبدو لهم أن الوقت قد حان لضم مصر الى القائمة الطويلة للامبراطورية الرومانية فانهم قد جربوا منذ عهد اوليتس أن أقصر طريق ليحصلوا على ثروة مصر هو ترك الملك على العرش وأن يأخذوا أمواله ٠

ومما لاشك فيه أن قيصر استطاع أن يأخذ من كليوباترة مايريد من الأموال ٠ وهناك سبب آخر وهو الأهم لعدم ضم مصر للامبراطورية رغم أنها الدولة الوحيدة فى الممالك الهلنيسيتية التى لم تزل مستقلة فالدولة الانتيجونية فى مقدونيا والدولة السليوقية فى سوريا قد انضمتا الى روما وبقيت مصر هى الوحيدة مستقلة فى حوض البحر المتوسط ٠

هناك سبب لانستطيع أن نغفله وهو أن مصر دولة غنية وتتمتع بموقع ممتاز ومهم واذا تم ضمها للامبراطورية فان حاكمها يمكنه أن يستغل ذلك فى العصيان والثورة على روما والتحكم فى ارسال القمح وهو القوت اليومى لعامة الرومان الذين يأخذ منهم القادة جنودهم ٠

ويذكر « سويتونيوس » أنه أثناء حصار قيصر فى الاسكندرية عام ٤٧ ق٠م كان وجوده فيها بدون امدادات من أى نوع وكانت استعداداته ضعيفة ورغم ذلك انتصر وقد اعاد حكمها لكليوباترة

واخيها الصغير خوفا من أنه اذا حولها الى ولاية رومانية أن تقع ذات يوم تحت أمرة حاكم قوى وتكون مصر للثورة

Veriuts Provineiam facere, ne quandoque violentiorem praesidem nacta rovarum rerum materia esset.

واذا كان قيصر يخاف من وجود حاكم روماني قوى فى مصر فان ذلك يرجع الى أن الحرب الأهلية لم تكن قد انتهت بموت بومبى لأن أبناءه قد رسموا الخطط لاستمرارها فى افريقيا وأسبانيا واذا أصبح الحاكم الرومانى فى مصر مواليا لاعداء قيصر فستصبح هناك قوة توازى روما وربما تقف معها على قدم المساواة وتستطيع الانتصار عليها وبدلا من أن تكون مصر تابعة لروما تصبح قوة مناوئة لها ٠

لذلك رأى قيصر أن من الافضل له أن يتركها فى ايدى ملوكها الذين يدينون له بالولاء وأن يترك هناك فرقا رومانية تكون عينا على هؤلاء الملوك ومن ناحية أخرى تقوم بحمايتهم باسم روما ٠

ومما يؤكد أن ذلك كان تفكير قيصر أنه عندما غادر الاسكندرية لم يترك الفرق التى تحمى الملوك تحت قيادة أحد من أعضاء السيناتو ولكنه تركها تحت قيادة أحد العبيد ولم يكن من النبلاء(١١)

وغادر قيصر مصر فى عام ٤٧ ق٠م ولحقت به كليوباترة فى عام ٤٦ ق٠م وأيضا لنا أن نتساءل : لماذا حضرت كليوباترة الى روما ؟

يذكر ديون كاسيوس أن كليوباترة قد حضرت الى المدينة (روما) مع زوجها وأقاموا عند قيصر ٠٠ وسجلهم (الرومان) فى عداد اصدقاء وحلفاء الشعب الرومانى ٠

وواضح من النص أن كليوباترة قد حضرت الى روما لتفوز بعقد المعاهدة لأنه يبدو أنها قد استشفت أن هناك فكرة دائمة لضم مصر للامبراطورية فكانت تلك المحالفة انقاذا لها وكانت المعاهدة حماية لها ٠

ويبدو أن كليوباترة قد حضرت من الاسكندرية الى رومـــا لتكون قريبة من الاحداث التى كانت ستقع فى روما والتى تدل على أن قيصر يريد أن يقيم الملكية ٠ يدلنا على ذلك الحادثة التى وقعت عندما اراد قيصر أن يذهب لقتال البارثيين انتقاما منهم لهزيمتهم الرومان وقتلهم كراسوس عام ٥٣ ق٠م وكان أن أذاع النبوءة التى تقول ان الرومان لن يهزموا البرثيين الا اذا قادهم ملك ٠

وذلك حتى ينصبه الرومان ملكا عليهم وهذا دليل على أن قيصر يعمل على اقامة ملكية فى روما فذهبت اليه كليوباترة حتى تكون بجانبه فى الوقت المناسب الذى يعلن فيه زواجه منها ثم يعترف بأبوته لقيصرون وتكون هى ملكة للعالم بأسره ٠

ويوجد لابيانوس نص يذكر فيه أن (قيصر) وضع لكليوباترة تمثالا جميلا بجانب الاله ٠

كذلك ما يذكره ديون كاسيوس من أن كليوباترة كان أملها أن تحكم الشعب الرومانى عندما اقسمت قسما عظيما بأنها سوف تحكم من الكابيتول ٠

ويوضح النص أغراض كليوباترة واحلامها من أنها تريد أن تحكم الرومان وبالطبع الصفة الوحيدة التى تحكم بها من الكابيتول هى صفتها كملكة زوجة ملك روما وهو ما كان يسعى اليه قيصر ٠ لكذلك يفسر لنا نســب ابنها الى قيصــر ثم حضورها فى أعقابه الى روما ٠

هناك سبب آخر يؤكد نية كليوباترة وقيصر من اقامة ملكية واعلان الزواج فان من المعروف أن قيصر لم يكن قد أنجب أبناء وحدث انه ترك كليوباترة فى روما وذهب لقيادة حملة حربيـة فى أسبانيا وتردد انه قد اوصى أحد الترابنة (Helvius Cinna) أن يقترح أثناء غيابه تشريع قانون يعطى الحق لقيصر فى أن يتخذ اية زوجة يريدها كذلك أى عدد من الزوجات وذلك حتى ينجـب أطفالا ·

uti uxeres Liberorum quaerendorm Causa quas et quot vallet ducere liceret.

وواضح من النص أن قيصر كان لا يحتاج الا الى الشـق الأول من هذا التشريع وهو أن يتزوج أى زوجة يريدها حتى يستطيع أن يتزوج من كليوباترة ·

واذا اعتبرنا أن النص صحيح ولم يصـطنعه أحد فى روما للتشهير بكليوباترة وقيصر بعد وفاته فان ذلك يكون دليلا قويا على رغبة قيصر فى الزواج من كليوباترة ·

على أى الأحوال فقد كان وجوده كليوباترة فى روما سببا قويا من الأسباب التى عجلت بنهاية قيصر فقد أشيع أنه فى طريقه لنقل عاصـمته من روما الى الاسـكندرية وذلك بعد أن يتزوج من ملكة مصر ويعتبر ابنها ابنا شرعيا له ·

وكان هذا بدون شك غرض كليوباترة مع بقاء روما عاصمة ، وان كان قيصـر لـم يطلق زوجتـه(١٢) فـان وجودهـا فـى روما سبب حالة من التذمر الشديد بين الرومان لا داخل الطبقات الشعبية فقط ولكن داخل طبقة النبلاء ·

فقد ذكر شيشرون فى احدى رسائله (اننى اكره الملكة . ويعلم

أمونيوس الذى أكد وعودها أننى على حــق فى أن افعــل ذلك فوعودها كانت متعلقة بأشياء علمية أدبيــة ولا تنقص من كرامتى الشخصية ، وكنت أجسر على أن اتحدث عنها فى اجتماع شــعبى غير أن صلف الملكة نفسها عند ماكانت فى حدائقهــا (قصـــرها الريفى) على الضفة الاخرى من التيبر ، فلا أستطيع أن اذكره دون أن أشعر بألم شديد)(١٣) ٠

ويدلنا هذا على أن كليوباترة كانت تعامل علية القوم فى روما على أنها ملكة فكرهوها أشد الكره ٠

كذلك يذكر شيشرون فى رســالة أخرى لصديقه اتيكوس (ان فرار الملكة لايزعجنى) Reginae fuga mihi non molesta est وكان ذلك بعد مقتل قيصر وفرار كليوباترة بعد أن وجدت أنه لامكان لها بعد أن تحطمت جميع امالها وكان فرارها هو الخلاص الوحيد من الخطأ الذى وقعت فيه(١٤) ٠

واذا كانت عــــلاقة كليوباترة بقيصـــر وبقاؤه معها فى الاسكندرية مدة طويلة فى ظروف تستدعى حضـــوره على وجه السـرعة الى روما ثم لحاقها به فى روما واقامتهــا فى قصـــره واعتبارها نفسها زوجتــه وعــدم اخفائها أن طفلهــا قيصرون ابنه كل ذلك جعل حالة من التذمر تسود روما ضدها وضد قيصــر ٠ رغم ذلك فان كليوباترة لم تكن السبب الوحيد الذى جعل مجموعة النبلاء يقومون بالقضاء على قيصر وقتله عام ٤٤ ق٠م فى مجلس السيناتو ٠

على أى الأحوال انتهى بمقتل قيصر فصل من حكم كليوباترة الذى هو نفسه فصل من العلاقات المصرية الرومانية فى السنين الأخيرة من بقاء مصر دولة مستقلة ٠

هربت كليوباترة من روما بعد مقتل قيصر فارة بحياتها الى الاسكندرية حيث بدأت مرحلة جديدة من سياستها ورغبتها التى كانت لاتضعف فى اعادة بناء امبراطورية اجدادها ٠

وقد ساق لها القدر قائدا آخر من قواد روما وهو مركوس أنطونيوس الذى آلت اليه الأجزاء الشرقية من الامبراطورية الرومانية بعد أن هدأت الحرب الاهلية وقد آل النصف الغربى لزميله الآخر أوكتافيان وبدأ انطونيوس فى دراسة أحوال ممتلكاته وكانت مصر هى الدولة الشرقية الوحيدة التى ما تزال مستقلة عن الامبراطورية الرومانية برغم وجود جنود جابينيوس وجنود قيصر الذين تركهم بعد حرب الاسكندرية ٠

كان طبيعيا أن تنتظر كليوباترة ما ستسفر عنه الاحداث فى روما حتى تستطيع أن تحدد موقفها من السياسة الرومانية بعد أن انهارت آمالها تماما بعد مقتل قيصر ٠

فى هذا الوقت تعرض العالم الرومانى الى صراع بين أنصار قيصر والجمهوريين وامتد الصراع خارج روما حين استولى الجمهوريون على ولايتى آسيا وسوريا وجاء انصار قيصر الى الشرق لطرد الجمهوريين من الولايات التى استولى عليها ٠ ويجدر بنا هنا أن نذكر موقفا سياسيا لكليوباترة حدث أثناء هذا الصراع فقد طلب كل من القائدين مساعدة مصر لمعرفتهم بقدرتها على ذلك وامتلاكها اسطولا قويا فضلا عن ذلك وجود القوات الرومانية التى جاءت مع جابينيوس والفرق الرومانية التى تركها قيصر فى مصر منذ عام ٤٧ ق٠م ٠

ورغم أن الدور الذى لعبته كليوباترة لم يجلب عليها سوى غضب القائدين اللذين انتصرا وهما انطونيوس واوكتافيان فاننا

لانستطيع أن نتصور ماذا كانت تستطيع أن تفعل وهى فى موقفها هذا فانها بالنسبة لكاسيوس وبروتوس لم تمدها بأى قوات وتعللت لهما بأن بلدها تعانى من مجاعة ٠

ويبدو أن المجاعة(١٥) حجة تعللت بها كليوباترة للهروب من هذا الموقف أو نستطيع أن نقول ان ظروف مصر الاقتصادية لم تكن بالحالة التى تمنعها من أن تساعد أى جانب تريده لأننا نجـــد أن ابيانوس يذكر فى مكان آخر أن الملكة قد تعللت لكاسيوس بأن بلدها يعانى من المجاعة والطاعون ولكنها فى حقيقة الأمر ساعدت دولابلا (وهو من انصار قيصر) وفاء لعلاقتها القديمة بقيصر ٠

لذلك أرسلت له أربع فرق وكان الاسطول على أهبة الاستعداد لمساعدته لولا الرياح المعاكسة التى منعته ٠

وأيضا نستطيع أن نقـول أن كليوباترة حتى ان سـاعدت انصار قيصر فانها ساعدتهم بطريقة محدودة ويبدو أنها لم تساعدهم الا بالقـوات الرومانية التى كانت فى مصـر وذلك حتى يتكشـف لها نتيجة الصراع الذى قام بين أنصار قيصر والجمهوريين ٠

لقد كان من الطبيعى بعد العلاقـــة التى كانت بين قيصـر وكليوباترة وادعائها بأن ابنها قيصـــرون قد أنجبته منه وبعد أن علقت عليه كل امالها ٠ أن تراعى ذلك كله فى شخص أتباعه وان تساعدهم ٠

ولكن بدا من سياسة كليوباترة انها لايهمها شـىء سـوى مراعاة مصلحتها ومصلحة مملكتها فلم يكن من السهل بالنسبة لها أن تزج بنفسها فى حرب ليست متأكدة من نتيجتها ٠ لذلك لـم تجازف باى شىء وانما ارسلت فقط القوات الرومانية التى كانت فى مصر ٠

كذلك نستطيع أن نقول أن كليوباترة كانت تخشى الجمهوريين لذلك تعاملت معهم بحذر شديد وتعللت بأعذار شتى حتى تحاول الهرب من مساعدتهم وفى نفس الوقت كانت لاتطمئن لاوكتافيان وذلك بعد أن أصبح ابن قيصر بالتبنى وهو بذلك يسلبها الحق الذى افترضته لنفسها وأقامت عليه آمالها من أن قيصرون هو ابن قيصر وله الحق فى أن يكون وريثه الوحيد ٠

لقد ساعدت كليوباترة أنصار قيصر ضد أعدائهم ومن المؤكد أنها كانت تبغى من وراء مساعدتها لهم شيئا غير أنها لم تساعدهم بكل ثقلها ولكن بالقدر الذى يحفظ لها مملكتها ومواردها سليمة وذلك أثناء الحرب التى دارت بينهم وبين أعدائهم والتى انتصروا فيها فى معركة فيليبى عام ٤٢ ق٠م ٠ ولم تساعد كليوباترة أى جانب فيها على الآخر منتظرة نتيجة الصراع الدائر ومن ثم تقرر الى أى جانب هى تنحاز ٠

وتنتقل بنهاية تلك المعركة العلاقات بين كليوباترة وروما أو كليوباترة والقادة الرومان الى دور جديد ٠ فبعد استتباب الامن فى العالم الرومانى بعد معركة فيليبى وانتصار أعضاء الحكومة الثلاثية التى تكونت بين ماركوس أنطونيوس وأوكتافيان وليبيدوس عام ٤٣ ق٠م ٠ قسم العالم الرومانى بين القادة الثلاثة فآل الى أوكتافيان النصف الغربى وأخذ ليبيدوس شمال أفريقيا أما انطونيوس فقد آل اليه الجزء الشرقى من الامبراطورية وكان عليه أن ينظم شئون تلك الولايات ٠

وبالفعل أرسل فى استدعاء الحكام الذين لم يساعدوا أعضاء الحكومة الثلاثية أثناء صراعهم مع الجمهوريين ومن هنا بدأت علاقة أنطونيوس بكليوباترة ٠

ومن التجنى على أنطونيوس وكليوباترة أن نسرد علاقتهما أو نحكم عليها بأنها مجرد علاقة بين رجل محب للملاذ لايبغى سوى متعة حسية وامرأة غانية كما أطلق عليها أعداؤها ٠

ولكن من الانصاف أن نبين الدافع من وراء تلك العلاقة التى كانت بين الطرفين حيث كان لكل منهما هدف أكبر من ذلك ولو أن كل طرف اتخذ وسيلة ما لتحقيق هذا الهدف ٠

ونستطيع أن نقسم تلك الفترة التى تمتد من معركة فيليبى عام ٤٢ ق٠م٠ الى دخول مصر فى حوزة الامبراطورية الرومانية عام ٣٠ ق٠م الى موضوعين :

أولا : مطامع كليوباترة من ناحية وأنطونيوس من ناحية أخرى ومحاولة كل منهما تحقيقها عن طريق الآخر ٠

ثانيا : موقف روما أو موقف الأحزاب فى روما أو بمعنى أوضح موقف أوكتافيان ومحاولته أن يأخذ من علاقة صديقه وزميله بملكة مصر حجة واستغلالها فى تشويه صورته أمام السيناتو والقضاء عليه فى قلوب الشعب الرومانى حتى يستطيع أن يقضى عليه نهائيا ويصبح هو بعد ذلك سيدا للعالم الرومانى بأسره ٠

ولبحث النقطة الاولى نجد أنه من ناحية أنطونيوس كان قائدا منتصرا مالكا لنصف العالم وكان عليه أن يؤمن املاكه ٠ وكان كذلك مقبلا على حرب باثيا(١٦) وكان يعلم ما لمصر من ثروات يمكن الاستفادة بها فى تلك الحرب(١٧) فضلا عن موقعها الاستراتيجى الذى يمكنه أن يعتمد عليه سواء فى حروبه المقبلة أو فى صراعه القادم الذى لامحال واقع بينه وبين زميله أوكتافيان علاوة على ذلك مانستطيع أن نقوله من أنه فى تلك الفترة لم يكن ولاء الجنود الرومان الى الدولة بقدر ما هو الى القائد الذى يحاربون تحت لوائه ٠ وقد

حرص كل قائد على أن يكون دائما تحت يده مصدر ثروة كبيرة حتى يستطيع أن يدفع لهم رواتبهم أو يكافئهم عند انتصارهم لذلك يبدو أن أنطونيوس نظر الى مصر للاستفادة منها الى أقصى حد ومن هنا بدأت علاقته بملكتها ·

يعترضون هنا بالسؤال الذى كان فى الحديث عن قيصر ألم يكن من الممكن لانطونيوس أن يضـــم مصر الى الامبراطوريـــة الرومانية ويستفيد من ثرواتها كما يريد بدون هذا العنـــاء وهذه المحاورات والاساليب الملتوية وأن يضع ملكتها فى عـــداد سبايا الحرب ؟ ·

بل ان ذلك سوف يجلب عليه فرحة الشعب الرومانى بأسره بدلا من اكتساب كراهيته بسبب علاقته بملكة مصر خصـــوصا أن مصـــر هى الدولة الوحيدة التى كانت ماتزال مستقلة عن الامبراطورية الرومانية ويبدو أن انطونيوس كان يريد الاستيلاء على ثروة مصر بالوسائل السلمية أكثر من استعمال القوة(١٨) ·

ومن المحتمل أن نظرة أنطونيوس تلك كانت مثل قيصر فمن الصعب مراقبة ولاية مثل مصر عندما يؤول حكمها لقائد رومانـــى نشط عنده طموح يستطيع بثروتها وموقعها أن يجلب القلاقل على روما ويتخذها قاعدة يحارب منها أى حكومة رومانية ·

فضلا عن أنه من الناحية القانونية كان لابد من الحصول على موافقة السيناتو لقيادة الجيوش وراء حدود الامبراطورية · ومصر كانت تعتبر رسميا دولة صديقة لروما وربما عارض أوكتافيان فى ذلك ·

على اى الأحوال فقد استدعى أنطونيوس كليوباترة لحسابها فى طارسوس بكيلكيا وكانت حجته فى ذلك هو العداء الذى كان من ناحيتها تجاه الائتلاف الثلاثى خلفاء قيصر أثناء الصراع مع أعدائه بعد وفاة قيصر عام ٤٤ ق٠م ٠

كان هذا موقف أنطونيوس ورغبته عندما أرسل فى استدعاء ملكة مصر لحسابها أما كليوباترة التى استطاعت أن تأسر قلب القائد العظيم قيصر فقد كان من السهل عليها أن تفعل نفس الشىء مع أنطونيوس الذى كان على استعداد لفعل اى شىء حتى يستطيع أن يحصل على مايريده من أموال مصر ٠

وعندما أرسل اليها للوصول اليه فى طارسوس كان عليها أن توازن بين أن تلبى دعوته وتذهب اليه وتجلب على نفسها غضب الطرف الآخر أوكتافيان أو لا تذهب الى طارسوس وفى هذه الحالة لن تكسب سوى غضب أنطونيوس ولكن كان لزاما عليها أن تختبر أحدهما لانها كانت تعلم طبيعة الرومان ٠

لقد كان من المستحيل أن يظل التوافق قائما بين نجمين متألقين مثل أنطونيوس وأوكتافيان(١٩) ٠

وفى تلك الظروف لم تستطع كليوباترة أن تقرر هل تذهب أو لا ؟ وماذا تفعل معه حتى تستطيع أن تحقق ماتريد ؟ ٠

ويبدو أنه أرسل فى استدعائها ثانية وكان ذلك اشارة منه لها أكثر مما هو تخويف وفهمت كليوباترة مضمون ديليوس رسول أنطونيوس اليها وهو اما أن تذهب اليه تعتذر متذللة واما أن أنطونيوس سوف يبعدها عن عرشها فى مصر ويسحقها كما سحق بروتوس وكاسيوس من قبل ويأخذها رهينة حرب ويرسلها الى روما لتسير فى موكب النصر الرومانى ٠

ولكن عندما رأى ديليوس جمال كليوباترة ولاحظ دهاءهـــا وذكاءهـــا فى الحديث ادرك انـــه لـــن يلحقهـــا أى ضـــرر من انطونيوس ولكنها هى التى سوف تؤثر عليه · وطمأنها «ديليوس» بأن أنطونيوس سوف يكون رحيما بها ·

وذهبت كليوباترة الى انطونيوس فى كيلكيا بعد أن استطاعت ان تبقيه فى انتظارها مدة طويلة وكانت تأمل أن تسيطر عليه بسهولة وقد ذهبت فى موكب فاخر ويصف بلوتارخ أن أفروديتى قد جاءت لتزور ديونيوس فى آسيا ··

وبالطبع كان لابد لانطونيوس أن يقبل أى تعليل من كليوباترة ويذكر ابيانوس :

(حضرت كليوباترة لمقابلة أنطونيوس فى كيلكيا وسألها لماذا لم تأخذ نصيبها فى العمل من أجل قيصر لم تدافع عن نفسها ولكنها عددت له مافعلته فقد ارسلت أربع فرق الى دولابلا وكان عندهـــا أسطول آخر على وشك الاستعداد ولكن منعتهـــا الريـــاح (عن الوصول الى) دولابلا الذى حدثت هزيمته فجأة ولكنها لم تساعد كاسيوس الذى توعدها · وعندما قامت الحرب ابحرت بنفسها بقوات لمساعدة (دولابلا) متحدية كاسيوس ومهملة ماركوس الذى كان فى انتظارها ولكن قامت عاصفة وحطمت أسـطولها وسقطت هـى مريضة لذلك لم تستطع العودة الا بعد انتصارهم ·

وواضح من النص مدى ذكاء كليوباترة وقدرتها على أن بررت تصرفاتها واستطاعتها اقناعه ولو أن انطونيوس كان عنده استعداد لذلك · وقد اندهش هو لذكائها لأول وهلة مثل جمالها واحبها حيث كان مراهقا رغم أنه كان فى الاربعين من عمره ·

ولو أننا لا نستطيع أن نقول أن أعمال كليوباترة لم يكن ممكنا أن يكون لها تأثير الا اذا كان أنطونيوس عنده استعداد لذلك بل أنه كان ينوى ذلك ٠

ويبدو أن كليوباترة لم تكن تريد أن تثبت تبريرا فقط ولكنها كانت ترسم سياستها بحيث تستطيع الاستيلاء على قلبه ومن ثم تستطيع تطويعه لرغباتها ويبدو أنها نجحت فى ذلك لأننا نجد ديون كاسيوس يذكر أن أنطونيوس قد وقع فى حب كليوباترة التى رآها فى كيلكيا ومن ثم لم يفكر فى الشرف ولكنه أصبح عبدا (للملكة) المصرية وجعل كل شىء لها وهذا جعله يفعل أشياء غير طبيعية ٠

وليس من المستبعد أن يكون هذا الوصف متأثرا بالدعاية التى شنها اوكتافيان ولكن واضح من النص أن كليوباترة قد استولت على قلب أنطونيوس واستطاعت أن تسيره وفق هواها لدرجة أنه نسى وضعه كحاكم لنصف الامبراطورية الرومانية وغادر آسيا الى مصر ٠

وبدا واضحا أن أنطونيوس قد بدأ ينفذ خطط كليوباترة ٠

ونستطيع أن نقول أن أنطونيوس رغم ماكان يفعله من أجل الاستيلاء على ثروة مصر فان كليوباترة استطاعت أن تأسره وتنسيه ماكان يريده لأنها لم تجد عناء فى أن تقنعه بجمالها ٠

كذلك فانه كان قد عرفها ووقع فى حبها منذ مدة طويلة عندما كانت صغيرة السن وكان قائد الفرسان فى جيش جابينيوس فى الاسكندرية ومن المرجح أن انطونيوس قد ذهب الى الاسكندرية لتحقيق اغراضه ٠

يبدو أن كلا من أنطونيوس من ناحية وكليوباترة من ناحية أخرى قد أخذ يسعى حثيثا لتنفيذ رغبته فمن المستبعد أن يكون ولع

أنطونيوس بكليوباترة هو السبب الوحيد لأن يذهب فى أعقابها الى الاسكندرية ٠

كذلك من المستبعد أن أنطونيوس لم يكن يضع فى اعتباره ماسيجلبه عليه ذهابه الى الاسكندرية من غضب السبناتو وقادته والشعب الرومانى جميعه ثم بتصرفه هذا يعطى فرصة لزميله أوكتافيان فى أخذها عليه من أنه ذهب فى اعقاب ملكة مصر ويستغل ذلك فى دعايته كما سنوضح فيما بعد ٠

ويبدو لنا أن انطونيوس منذ مقابلته كليوباترة فى كليكيا قد عقد العزم على الوقوف أمام أوكتافيان ولا نستطيع أن نلقى تبعة كل شىء على كليوباترة فماذا كان فى استطاعتها أن تفعل لو أن أنطونيوس لم يبد رغبة فى تحقيق آمالها أو ماذا كان فى أمكانها أن تفعل عندما يعلن ضم مصر الى الامبراطورية الرومانية ؟ ٠٠

ولكن الذى نستطيع قوله أن أنطونيوس كان عنده الفكرة واضحة لمحاربة خصمه نظرا لتوقعه أن ذلك سيحدث لا محالة ٠ كذلك من المحتمل أن أنطونيوس قد علم أو استشف أن أوكتافيان سوف يفعل ذلك فأخذ هو زمام المبادرة حتى لايفلت الأمر من يده وتذهب ثروات مصر لغريمه الذى ربما يحاول كسب مصر الى جانبه واستغلال ثرواتها فى حربه مع أنطونيوس ٠

أما كليوباترة فتستطيع أن تتبين موقفها وأطماعها على ضوء علاقاتها بقيصر وأنها حاولت من خلال تلك العلاقة أن تحقق أغراضها غير عابئة بالنتيجة أو النتائج الجانبية لتصرفاتها مادامت سوف تصل بها لاهدافها وتعيد بناء امبراطوريتها بل أحلامها بأن تحكم العالم وتنتقم من الرومان ٠

ورغم ماكان يتمتع به قيصر من مكانة في قلوب الرومـــان وشعبية لم يصل اليها أحد فانها استطاعت أن تشوه تلك الصورة وتجلب عليه كره العامة والاشراف في روما وكانت سببا قويا من الأسباب التى أخذها عليه أعداؤه للقضاء عليه بعد أن كانت أقرب ماتكون لتحقيق هدفها

والآن وهى تعيد الكرة مع أنطونيوس نجدها قد استفادت من علاقتها بقيصر ومن المؤكد انها تلافت أخطاء كثيرة وبدأت من جديد فى رسم سياسة تعبر عن ذكاء لا ينكره أحد فى الوصـــول الى أهدافها مهما كانت الوسائل ولو انها حافظت على الناحية الشكلية بالنسبة لمصر والشرق فقط أما روما فيبدو أنها فكرت فى انهـــا عاجلا أو آجلا سوف يعترف العالم الرومانى بزواجها هذا ٠

استطاعت كليوباترة أن تستولى على قلب أنطونيوس بينما كان البارثيون يهددون سوريا وفولفيا زوجتـــه فى تشـــاحن مع أوكتافيان للدفاع عن زوجها لأنه بعد انتهاء الحروب الأهلية وتقسيم الامبراطورية بدأ أوكتافيان فى توزيع الأراضـــى على المحـــاربين القدماء واضطر فى سبيل ذلك الى مصادرة الملكيات الصغيرة مما أثر على الحالة الاقتصادية فى ايطاليا ٠

وقد عارضه لوكيوس أنطونيوس شقيق ماركوس أنطونيوس وزوجة الأخير ووصل الأمر الى الاشتباك المســلح واســتطاع أوكتافيان الانتصار عليهما ٠

ظل انطونيوس فى الاسكندرية حتى عام ٤٠ ق٠م كان فيهـــا مثلا سيئا لشعبها حيث ان صيته الذائع قد سبقه للاسكندرية فألهب شعور الاسكندريين والاكثر من ذلك أن أنطونيوس كان ضـــيفا لايحق له أن يفعل ما يشاء ٠

وقد غادر الاسكندرية فى عام ٤٠ ق٠م وبدون شك فانه لم يكن قد استطاع أن يحصل على شيء من أموال مصر حتى ذلك الوقت ويبدو أن كليوباترة قد ساومته على الزواج منها مقابل أن تعطيه ثروة مصر ولكنه رفض وترك مصر وتغيب عنها أربع سنوات كاملة عندما علم بغزو البارثيين لسوريا وآسيا الصغرى ٠

كذلك علم بما حدث بين أخيه وزوجته من جانب وأوكتافيان من جانب آخر لذلك قرر أن يعود الى ايطاليا والتقى بزوجته فى أثينا وقد تشاجر معها عندما علم أنها لم تفعل ذلك الا لتنتزعه من كليوباترة وتعيده لايطاليا ٠ وقد توفيت فولفيا زوجة أنطونيوس بعد ذلك وكانت فى آخر حياتها قد خلقت سوء تفاهم بين القائدين ٠

ويبدو أن الصدام قد أصبح وشيكا منذ عام ٤٠ ق٠م وذلك عندما علم أنطونيوس أن اوكتافيان قد أستولى على بلاد الغال بعد وفاة قائد أنطونيوس هناك كذلك استولى على أسبانيا وكانت ولاية تابعة لانطونيوس ٠

ولكن رغم ذلك فقد توسط بينهما الوسطاء وعقد صلح برنديزى عام ٤٠ ق٠م على أساس الأوضاع السائدة حسب قول بلوتارخ ٠

وكما هو واضح من النص فقد جعلوا البحر الايوانى حدا يفصل بين الشرق والغرب واعطى بمقتضى هذا الصلح الولايات الشرقية لانطونيوس واعطى اوكتافيان الولايات الغربية وأعطى لبيدوس شمال أفريقيا وهو تقسيم كان قد اتفق عليه من قبل وقد تم زواج أنطونيوس من أوكتافيا أخت أوكتافيان(٢٠) وكان هذا بالطبع اتفاقا عائليا لتوكيد الاتفاق السياسى(٢١) ٠

ويدل عقد صلح برنديزى على عدم رغبة الجانبين فى القتال نظرا لخوف الرومان وكرههم للحرب منذ اندلاع الحروب الأهلية بين قيصر وبومبى كذلك كان تحت الحاح ظروف ألمت بأنطونيوس وذلك لأن خطر البارثيين كان قد بدأ فى الازدياد واراد أنطونيوس أن يدعم موقفه لذلك فان صلحه مع أوكتافيان لم يكن الا لاحتياجـــه الى قوات من ايطاليا ٠

ظلت الأحوال هكذا بين أنطونيوس وأوكتافيان وكان الأخير مشغولا بحربه مع سكستوس بومبى الذى مارس أعمال القرصنة فى غرب البحر المتوسط وذلك بعد استيلائه على صقلية وسردينيا وقطع الطرق على السفن المحملة بالقمح الى روما ٠٠

أما انطونيوس فان الخطر البارثى لم يكن قد انتهى لذلك احتاج لمدد من أوكتافيان الذى كان محتاجا هو الآخر لاسطول بحـرى ليرد غارات سكستوس بومبى ويقضى عليه فى البحر المتوسط لذلك نفذ أنطونيوس شروط الاتفاق وذهب الى أوكتافيان عام ٣٧ ق٠م ومعه أسطوله لكنه وجد الأخير بغير حاجة اليه وماطل فى اعطائه القوات البحرية التى يريدها لاستكمال غزوه لبارثيا ٠

ويبدو أنه كان يتفاوض سرا مع حليفه لبيدوس ضد أنطونيوس لذلك بدأت القطيعة بين القائدين مرة أخـرى ولم ينهها الا تدخل أوكتافيا التى استطاعت أن تقنع الجانبين بأن هذا الخلاف سيؤدى الى حرب أهلية وعقدت اتفاقية تارنتم عام ٣٧ ق٠م لمـدة خمـس سنوات ونصت على أن يعطى أوكتافيان لانطونيوس أربع فـرق عسكرية مقابل ان يعطيه الأخير ١٢٠ سفينة من سفنه لكن مـرة أخرى لم يف أوكتافيان بوعده ويبدو أن ذلك كان لظروفه الطيبة وظروف أنطونيوس السيئة ٠

فقد انتصر اجريبا قائد أوكتافيان على سـكستوس بومبى واستطاع أوكتافيان من ناحية أخرى أن يقضى على ليبدوس وينتزع منه شمال أفريقيا ٠

أما أنطونيوس فقد حالفه سوء الحظ اذ هزمه البارثيون ورفض اوكتافيان أن يمده بالقوات التى طلبها فى الوقت الذى أعطاه فيه هو ما يحتاج اليه من السفن البحرية التى كان لها الفضل على مايبدو فى القضاء على القراصنة ٠

وأصبح بعد ابعاد لبيدوس يقف أنطونيوس وأوكتافيان وجها لوجه أمام بعضهما وقد فهم كل منهما غرض الآخر واسـتعد كل منهما للقضاء على الآخر وأدرك انطونيوس أن غريمه يحاول ابعاده عن ايطاليا نفسها(٢٢) هذا اذا لم يكن قد علم ذلك من قبل ٠

ومن الانصاف هنا لانطونيوس أن نذكر أن اوكتافيان كان له المبادرة وكان هو السبب الرئيسى والمباشر الذى أدى الى القطيعة التى حدثت بينهما فهو لم يحترم اتفاقية برنديزى ولم يمد زميله بما طلبه من القوات لدرء خطر البارثيين رغم أن الاخير قد أمده بما يحتاج اليه من سفن ٠ ثم لم يحترم اتفاقية تارنتم وترك أنطونيوس نهبا للخطر البارثى ٠

واضح أن غرض أوكتافيان منذلك هو اضعاف مركز خصمه العسكرى حتى يظهر فى نظر الرومان بالقائد الضعيف ومن ثـم لا يستطيع أن يقف على قدم المساواة معه ٠

ولعبت الظروف دورا مهما فى مصلحة كليوباترة فهى حتى ان كانت قد عرضت أفكارها على أنطونيوس ورغبتها التى كانت قد وأدتها الحوادث التى أدت الى مقتل قيصر من قبل والتى رفضها

أنطونيوس وذلك لما رآها تتعارض مع موقعه ومركزه كقائد وحاكم روماني فيبدو أنه كان في هذا الوقت (٣٧ ـ ٣٦ ق٠م) موقنا تماما أن الحرب قائمة لامحالة بينه وبين أوكتافيان والصراع سوف يدور سواء رضى أو لم يرض في الوقت الذى عزز فيه أوكتافيان مركزه في شمال أفريقيا وأمن البحر المتوسط بالقضاء على القراصنة ٠

ويبدو كذلك أن أنطونيوس أيقن تماما أنه لابد أن يسرع بالاستيلاء على ثروة مصر قبل ن يجد نفسه لايستطيع حركا من الخطر البارثي والخطر الروماني وخطر اضعاف موقفه ٠

بعد مغادرة أنطونيو للاسكندرية عام ٤٠ ق٠م أنجبت كليوباترة توأمين ٠٠ هما الاسكندر وكليوباترة وايضا كان كسبا دبيلوماسيا جديدا لكليلوباتره أن تنجب أبناء من انطونيوس(٢٣) ٠

ورغم أنقطاع أنطونيوس عنها مدة أربعة أعوام فانها لم تفقد الأمل في عودته رغم زواجه من أوكتافيان فقد كانت تعلم أنه زواج فرضته مصالحه(٢٤) وكانت بوسائلها توحى اليه أن يلجأ اليها وينفصل عن أوكتافيان(٢٥) ٠

وفي عام ٣٦ ق٠م قطع أنطونيوس تحالفه مع اوكتافيان وأعلن زواجه من كليوباترة واعترافه بالتوأمين وقد أطلق عليهما هليوس وسيليني ٠

وأصبح أنطونيوس بزواجه منها سيدا وقائدا للشرق بينما بقي غميمه في الغرب ٠ ولم يطلق أنطونيوس أوكتافيان لأنه كان يدرك ما سيسببه له طلاقها من عداء أوكتافيان شريكه ٠ وكان زواجه من

كليوباترة بدون طلاق اوكتافيان يعتبر جمعا بين زوجتين وهذا مخالف للقانون الرومانى ولكنه كان رجلا لا يخاف شيئا وكانت كليوباترة فى سوريا وأوكتافيا فى ايطليا وكانت معه دائما المرأة التى تجلب له النصر ولم تأخذ كليوباترة فى اعتبارها ماذا كانت وجهه نظر روما مادام الزواج قانونيا من وجهة نظر الشرق وكان ذلك كافيا بالنسبة لها(٢٦) ٠

لقد كانت كليوباترة تريد أن تقضى على تقدم روما فى العالم كله ومن الجائز انها كانت تريد أن تنفذ فكرة العالمية التى دعا اليها الاسكندر(٢٧) ومن ثم لم تبال بشىء سوى العمل على تحقيق هدفها ٠

وقد أعطاها أنطونيوس بهذه المناسبة كلا من فينيقيا ووادى سوريا وقبرص وجزءا كبيرا من كيلكيا ومن البلاد العربية اقليم البلسم فى يهودية وكل أقاليم النبطيين التى تنحدر ناحية البحر ٠

وقد كسب أنطونيوس بزواجه من كليوباترة وتحالفه معها موقعا استراتيجيا ممتازا(٢٨) وقوة اقتصادية لا يستهان بها(٢٩) لأنه مما لاشك فيه أن انطونيوس قد أيقن تماما أنه بدون الاستناد على ثروات مصر وموقعها لن يستطيع أن يحقق شيئا مما يريد ٠ فى الوقت الذى سبب له فيه تصرفه هذا كذلك اهانته لزوجته أوكتافيا حالة من الاستياء فى روما (٣٨) ٠

ويجدر بنا هنا أن نتعرض للعلاقة التى كانت بين اليهود وملكة البطالمة فى عهد كليوباترة ٠٠ وتعود تلك العلاقة الى وقت نشوب حرب الاسكندرية فانه عندما تحرج موقف قيصر وجنوده أثناء حصار الاسكندريين له أرسل الى سوريا فى طلب النجدة وقد قدم أنتياتروس حاكم يهودية مساعدته لقيصر ٠

ويذكر جوزيفوس أن النصر الذى أحرزه مثريداتس عند بلوزيوم يرجع الى انتيباتروس ويذكر جوزيفوس أيضا أن قيصر عرفانا منه بجميل اليهود أقام نصبا من البرونز لليهود فى الاسكندرية اثبت عليه انهم مواطنون سكندريون وتلك كانت دعاية من جوزيفوس فمن المعروف أن اليهود قد طلبوا حقوق المواطنة من الرومان بعد ذلك ولكن من المحتمل أنه أعفى اليهود فى بلادهم من دفع الجزية ٠

كذلك منح أنتيباتروس حق المواطنة الرومانية وأعفاه من الجزية وكافأ هيركانوس بأن جعله كاهنا أكبر وأن يخلفه أولاده من بعده وجعلهم حلفاء واصدقاء له ٠

وفى عام ٤٠ ق٠م ٠ عندما غزا البارثيون سوريا ألقوا القبض على هيركانوس ولكن هيرود هرب الى مصر ووصل الى بلوزيوم وبالطبع كان هيرود يود الذهاب الى روما وذلك للاستنجاد بها وطلب مساعدتها فى استعادة وطنه المفقود ورغم أن كليوباترة لم تبد له عداء عندما حضر الى الاسكندرية ولكنها كانت لا تنسى أن بلاد اليهود كانت جزءاً من امبراطورية البطالمة منذ أقل من قرنين من الزمان(٣١) ٠

ويذكر جوزيفوس أن كليوباترة قد طلبت منه أن يكون قائدا لاحدى فرقها التى تعدها لمساعدة أنطونيوس فى غزو بارثيا ٠

ولكن هيرود رفض عرضها وذهب الى روما ٠ ومن المحتمل أن ذلك سبب عداء كليوباترة لهيرود ٠

وبعد أن أعادته روما وتزوج أنطونيوس من كليوباترة طلبت منه أن يأخذ الاقاليم من حكام سوريا ويعطيها لها ٠

ويذكر جوزيفوس فى وصف كليوباترة :

فى الحقيقة لم يكن هناك شيء يكفى تلك المرأة المسرفة التى كانت عبدة لشهواتها وقد طمعت فى العالم كله وطلبت من أنطونيوس أن يأخذ ممتلكات الغير ويعطيها لها • وعندما مرت على سـوريا طمعت فيها •• طلبت من أنطونيوس كلا من يهودية والنبط وأن يأخذ (تلك الاقاليم) من حكامهم الشرعيين • ولأن أنطونيوس كان متيما بها فقد حقق رغباتهـا •• أخذ مقاطعـات من مالخوس وهيرود وأعطاها لها • أعطاها المدن الواقعة جنوب نهر اليوثيروس الى مصر (على الساحل لفينيقيا وفلسطين) ماعدا Tyre فى Sidom

وواضح من كلام جوزيفوس مدى كرهه لكيلوباترة ويصفها فى مكان آخر حيث يقول أن كلبوباترة بعد أن قتلت أسرتها واحدا بعد الواحد كانت متعطشة لدماء غريبة وامتدت اطماعها الى يهودية والعربية وكانت تدبر الخراب لملوكها هيرود والخوس •

وعند ذهاب أنطونيوس للحرب فى أرمينيا صحبته كليوباترة. وعند عودتها توقفت فى أباميا ودمشق وذهبت الى يهودية وقابلها هيرود وأجر منها أجزاء من النبط التى أعطاها لها أنطونيوس كذلك أعطاها دخل المناطق التى حول أريحا وهذه المناطق بها البلسـم ورافقها حتى بلوزيوم بكثير من الاحترام •

ونحن لانستطيع أن نغفل التحيز التام من جوزيفوس لليهود خصوصا هيرود الذى يظهره فى وصفه له أنـه بطـل كذلك لاننكر العداء الواضح منه لكيلوباترة ولكننا نستنتج أن علاقـة البيت البطلمى باليهود فى تلك الفترة كانت من خلال أنطونيوس واعتماد كليوباترة على قهره لملكتهم وتمكينها منها •

ولكن يبدو أن كليوباترة كانت لا تأمن للمملكتين : اليهود والنبط

لذلك دفعت أنطونيوس أن يأمر هيرود أن يحارب ملك النبط وذلك كان فرصة لكيلوباترة أن يقضى أحد الملكين على الآخر ٠

وعلى أية حال فان حالة العداء بين هيرود وكليوباترة كانت السبب فى نجاة الأول من بطش اوكتافيان بعد معركة أكتيوم ٠

ونعود للحديث عن تطور العلاقات بين انطونيوس وأكتافيان فنجد أن استيلاء الأخير على الجزء الغربى كله من الامبراطورية كان ايذانا بنشوب الصدام المسلح بين القائدين الكبيرين ٠

ومن المرجح أن كليوباترة هى التى اغتنمت الفرصة وزينت لانطونيوس أن يحارب زميله وليس هو الذى استدعاها لسوريا وتزوجها لأن من الواضح أن آمالها قد بدأت تراودها ثانية فى أن تحقق بواسطة أنطونيوس مالم تستطع أن تحققه بواسطة قيصر ٠

وقد ساعدها فى ذلك قسوة الحكم الذى فى الولايات الشرقية والدليل على ذلك مساعدة كثير من تلك الممالك لها فى حربها ضد روما ٠

كانت كليوباترة تبحث عن سلاح قانونى لتطعن به أوكتافيان فظلت وراء أنطونيوس حتى بدأ باعلان أن قيصرون ابن قيصر وأن كليوباترة كانت زوجته وكان ذلك من الأسباب التى أثارت اوكتافيان(٣٢) لأن تلك الحقيقة سوف تضيع عليه فرصته فى الدعاية التى قام بها من انه وريث قيصر الوحيد ٠

وبالطبع كان ذلك نظرا لكليوباترة فهى ستحكم الامبراطورية من خلال ابنها وريث قيصر حتى لو انتهى القائدان فى الحرب فستكون هى وابنها الورثة الوحيدين لقيصر وامبراطوريته ٠

وبدا أن الاحلام التى راودت كليوباترة تتحقق وذلك بفضل ذكائها ودأبها على تحقيق آمالها ٠ ولم تكن أوكتافيا زوجة أنطونيوس

تجد ما يضيرها من هذا الزواج فقد كانت تعلم أن من المستحيل أن يتخلى عن كونه قائدا رومانيا أو يبتعد عن الأرض الصلبة التى يقف عليها وهى القاعدة الشعبية العريضة التى لايمكنه الاستغناء عنها فى مسألة جلب الجنود لجيشه ٠

أما كليوباترة فقد بدأت بتحويل أنطونيوس عن طريقه الذى رسمه وهو محاربة البارثيين الى الاستعداد لمحاربة أوكتافيان ٠٠ ويبدو أنها زينت له أن يقضى على أوكتافيان ثم بعد ذلك يمكنه أنجاز كل شيء بسهولة ٠

جاءت نقطة التحول الكبرى فى تاريخ أنطونيوس عندما عاد منتصرا من حربه فى أرمينيا وذلك عام ٣٤ ق٠م ٠ وأقام مهرجان انتصاره فى الاسكندرية ووزع الولايات الشرقية على كليوباترة وابنها من قيصر وأبنائها منه ٠

ويصف ذلك بلوتارخ ويقول (أن انطونيوس جمع الشعب فى الجمانزيوم وكانت هناك منصة من الفضة وضع عليها عرشان من الذهب لانطونيوس وكليوباترة وكانت هناك عروش فى مستوى أقل منه وكيلوباترة لاولاده وأعلن أن كليوباترة ملكة مصر وقبرص وليبيا ووادى سوريا على أن يشترك معها ابنها قيصرون وأن قيصرون ابن لقيصر أنجبه من كليوباترة وكذلك أعلن أن أولاده من كليوباترة ملوك أبناء ملوك واعطى الاسكندر ارمينيا وميديا وبارثيا (عندما يستولى عليها وأعطى فينيقيا وسوريا وكيلكيا لبطلميوس) ٠

وواضح من تصرف أنطونيوس هذا أنه يحاول أن يرضى كليوباترة الى أقصى حد ويستفز اوكتافيان ٠ ولكن ذلك كان استفزازا للشعب الرومانى الذى يود هو أن يكسبه الى جانبه وأن

علاقته وزواجه بملكة أجنبية واعترافه بأبوة أبنائها ثم اعترافه بأبوة قيصر لابنها ثم جعل أبنائها ملوكا أبناء ملوك .

كل ذلك معناه أنه هو أيضا ملك ولكنه يؤجل ذلك حتى يستطيع أن يستولى على النصف الآخر من الامبراطورية .

ويذكر ديون كاسيوس أن انطونيوس لم يعلن ذلك فى الاسكندرية فقط ولكن أرسل بذلك خطابا رسميا الى روما ولم يعلن أى شىء من ذلك على العامة حيث كان القنصلان مخلصين له ورفضا اعلان خطابه وكان ذلك لخوفهما عليه من غضب الشعب الرومانى .

كان ذلك من أهم الأسباب التى استطاع أوكتافيان أن يستغلها للدعاية ضد أنطونيوس وكليوباترة وأوضح أنه غريمه عازم على نقل عاصمته للاسكندرية والدليل على ذلك اقامته مهرجان انتصاره فيها متجاهلا شعور الرومان .

يبدأ من زواج أنطونيوس بكليوباترة الشق الثانى من دراستنا فى تلك المرحلة (علاقة أنطونيوس وكياوباترة) وهو بداية استغلال أوكتافيان علاقة الاثنين فى تشويه صورة أنطونيوس والقضاء عليه حتى يكسب الصراع ضده .

وقد بدأ ذلك بعد أن أقام أنطونيوس مهرجان انتصاره على أرمينيا فى الاسكندرية عام ٣٤ ق٠م واعلن أن قيصرون ابن لقيصر وفى هذا مايقضى على آمال أوكتافيان من أنه الوريث الوحيد لقيصر .

بدأ اوكتافيان بالتشهير بانطونيوس واستغل هزيمته فى بارثيا عام ٣٦ ق٠م وعودته الى مصر وابلاغ روما بأنه انتصر فى تلك الحرب .

وبدأت حملات التشهير التى خاضها اوكتافيان وذلك عندما ذهبت أخته زوجة انطونيوس بامدادات لزوجها اثناء قتاله فى بارثيا ولم يمنعها أوكتافيان لعلمه بما سيتصرف به أنطونيوس تجاهها وذلك حتى يأخذ من اهانته لاخته سببا يضيقه الى أن انطونيوس وهب الولايات الرومانية الشرقية لكليوباترة وذلك ليختلق سببا للحرب وفعلا لم يقابلها انطونيوس ٠

وكان مسلك انطونيوس هذا وسوء معاملته لزوجته سلاحا اتخذه أوكتافيان ضده وقد آذى ذلك شعور الرومان وشوه صورة أنطونيوس فى نظرهم وان كانت أوكتافيا لا تريد الحاق الاذى بزوجها ويذكر بلوتارخ انها بعد عودتها من أثينا أمرها أوكتافيان أن تترك بيتها ولكنها رفضت أن تترك منزل زوجها وتوسلت الى اخيها حيث كان قد قرر أن يعلن الحرب على أنطونيوس ٠

وقد كانت أوكتافيا تنكر معاملة انطونيوس السيئة لها حيث قالت انه شىء مخجل أن اثنين من أكبر قواد العالم يجران الرومان الى حرب أهلية أحدهما بسبب انفعاله والاخر بسبب دفاعه عن امرأة ٠

وقد مكثت فى منزل زوجها كما لو كان هو فى المنزل واعتنت بأولاده منها ومن فولفيا واستقبلت أصدقاء أنطونيوس الذين جاءوا الى روما لأداء خدمة أو عمل ومساعدتهم فى الحصول على مايريدون من أوكتافيان ٠

وتوضح لنا كلمات بلوتارخ ووصفه لاوكتافيا مدى اخلاصها وكان من السهل اكتساب مشاعر الرومان بجانب أوكتافيا لانهم كانوا يحملون عداء لكليوباترة منذ زيارتها روما قبل ذلك بتسع سنوات ٠

وكانت بداية الصدام الحقيقى بين أنطونيوس وأوكتافيان فى بداية عام ٣٣ ق٠م فقد بدأ أوكتافيـــان منذ ذلك الوقت فى حملة التشهير المكثفة ضد أنطونيوس وأخذ يعمل جاهدا لكسب الرأى العام فى الحرب بشرح مقاصد أنطونيوس وكليوباترة وبدأ القائدان فى التراشق بالرسائل وبين أنطونيوس لزميله أنه لم يحترم اتفاقية برنديزى ولكن الاخير ارسل لزميله رسالة يبرر فيها تصرفاته وكان ذلك عام ٣٣ ق٠م ٠

وعلى أى الأحوال فان مما لا شك فيه أن الصدام كان قد بدأ فعلا والحرب الباردة بين القائدين اتخذت شكل الاستعدادات للحرب الساخنة ٠ فقد تحالف أنطونيوس مع ملك بونتوس وملك ميديا بل أنه عرض عليه أن يعطيه جزءا من أرمينيا ويزوج ابنته من الاسكندر ابنه من كليوباترة ومعنى ذلك أنه كان يستعد للحـــرب ليس مع البارثيين ولكن مع أوكتافيان ٠

ومن جهة أخرى حاول أنطونيوس كسب جانب السيناتو وذلك بارساله رسالة اليه يلتمس فيها الموافقة على أعماله فى الشـــرق ويعلن استعداده للتنازل عن سلطاته على أن يتنازل أوكتافيان أيضا عن ســـلطاته وأن تتـــرك تلك الســـلطات للسيناتو والشـــعب الرومانى ٠

وبالطبع لم يـــكن ذلك غرض أنطونيوس ولكنه اراد أن ينبـــه (السيناتو) الى اجبار اوكتافيان على أن يلقى سلاحه أولا أو يسبب له كراهية الرومان اذا لم يمتثل لاوامرهم ٠

واضح أنها خدعة من أنطونيوس حتى يثير الشعب والسيناتو ضد أوكتافيان ٠ وحتى يكسب محبتهم وأن يعيد الى الاذهان ذكرى أيام بومبى وقيصر عندما كانت تتخذ هذه الخطط وسائل لكســـب ثقة الشعب(٣٣) ٠

وبدأت منذ ذلك الوقت المواجهة السافرة بين الخصمين عندما هاجم أحد القناصل أوكتافيان فى مجلس السيناتو ومدح أنطونيوس حتى انه كاد أن يستصدر قرارا من السيناتو ضد اوكتافيان ولم يجد أوكتافيان وسيلة تنقذه سوى اعلانه فى السيناتو انه سيقدم الوثائق التى تدين خصمه ازاء ذلك أعلن أنطونيوس طلاقه من أوكتافيا ٠

وكان من الممكن فى تلك الظروف كسب أنطونيوس للحملة الدعائية نظرا لحب الناس له وتأييد فريق كبير من السيناتو وذلك اذا حضر الى روما وظهر بين جماهير الشعب ولكن وجود كليوباترة فى معسكره وبين جنوده أعطى صورة للجميع بأن الحرب حرب كليوباترة وأن أى انتصار سوف يكون من نصيبها وكان يسىء الجنود أن يروا قائدهم يخضع لامرأة أجنبية وهم جنود تحت امرتها ٠

وقد اتخذ أوكتافيان أخطاء انطونيوس وقدمها للرومان مثبتا لهم أن أنطونيوس أصبح العبد التعيس لكليوباترة ٠ رجلا بدون ارادة أو أى شعور بالشرف واشاع الفكرة بأنه لو انتصر غريمه فسوف يستعبد الشرق روما وتصبح ايطاليا ولاية لمصر ويدور الزمن بعد أن كانت روما هى المسيطرة تصبح مدافعة تعيسة(٣٤) .

عمل اوكتافيان على تقوية مركزه فى ايطاليا واول مافعله هو نشر الوصية التى اعترف فيها أنطونيوس أن قيصرون ابن لقيصر واغداق منح كثيرة على أبناء كليوباترة منه ثم رغبته أن يدفن فى الاسكندرية ٠

وأشاع أن أنطونيوس أصبح عبدا لكليوباترة وانه ينوى نقل

عاصمته للاسكندرية واقامة كليوباترة ملكة عليهم • وكان من المستحيل أن أنطونيوس يريد ذلك وكان بتجربته يعلم قوة الجنود الرومان وموقفه ومكانته فى القوات الشرقية وكان يعلم كذلك أن مكانته فى الشرق تعتمد على الجنود الذين فى ايطاليا لذلك كان من الصعب أن يفكر فى حكم الامبراطورية من خارجها دون الاحتفاظ بقاعدة قوية فى ايطاليا ولكن دعاية أوكتافيان كانت مؤثرة جدا حتى ان كثيرا من الضباط والجنود قد امتنعوا عن الخدمة مع أنطونيوس(٣٥) •

ومن المحتمل أن ذلك بسبب دعوة أوكتافيان لهم ولا نستبعد أن جزءا من رجال السيناتو قد تأثر بالوعود الشخصية التى وعدهم بها أوكتافيان •

وعلى أى الاحوال فقد اصبح الدفاع ضد عدو أجنبى اشد رهبة للشعب الرومانى من الحروب البونية(٣٦) وبدأت الأموال تتدفق على الخزانة العامة • وأقسمت ايطاليا لاوكتافيان يمين الولاء عام ٣٢ ق•م وكانت كل من صقليا وسردينيا وأفريقيا وبلاد الغال والليريا وأسبانيا حلفاء لهم •

وازاء ذلك حرم أنطونيوس من تولى القنصلية عام ٣١ ق•م وبدأت الحرب التى أعلنها الرومان على كليوباترة لا على انطونيوس •

وهنا يظهر ذكاء أوكتافيان فى حملات التشهير تلك فقد استطاع أن ينقل الشعور العام فى ايطاليا من العداء لانطونيوس الذى لم ينظر اليه الرومان على أنه أحد القواد الرومان بل رأو فيه قائدا أجنبيا تولى قيادة الشرقيين والدفاع عن قضيتهم هم

وكليوباترة فى الهجوم على روما(٣٧) الى حرب ضد ملكة أجنبية اثارت شعور الرومان من قبل والآن تريد أن تهدد أمنهـــم وما أنطونيوس الا أداة فى يدها تحركها كيفما شاءت ومن ثم يصـــبح هو غير أهل لحمل مسئولية حكم أو قيادة جيش ٠

وذلك لأن الحروب الأهلية كانت انتهت ٣٦ ق٠م وكان يريد أن يعبىء الشعور فى ايطاليا للحرب ضد الشرق وبالفعل لم يرهب الرومان طوال تاريخهم سوى عدوين أولهما هنيبال الذى نصـب خيامه على بعد أميال من روما وكان قاب قوســـين أو ادنى من تحويل دفة السياسة العالمية لو أنه انتصر على روما ثم كليوباترة التى كانت تريد الانتقام من الرومان الذين كانوا السبب فى القضاء على امبراطورية اجدادها ٠

لقد تحقق لكليوباترة ماكانت تريده وهو وقوع الحرب بينها وبين روما واتبعت اسلوبا ذكيا فى محاربة الرومان فقد اتخذت أحد أبناء روما ليحارب ضد وطنه ودفعته لذلك وساعدتها الظروف بأن استغل غريمه ذلك وسعى هو الآخر للحرب ٠

ومن ناحية أخرى كانت تريد أن تكون حربا مقدسة بين الشرق والغرب وقد بدأ الصراع ليس صراع انطونيوس واكتافيان كما كان صراع بومبى وسولا أو بومبى وقيصر ولا هو صراع بين رومـا ومصر حتى تدخلها ضمن امبراطوريتها ولا هو صراع بين رومـا كقوة كبيرة ومصر قوة مساوية لهـــا ولكنه كان بالفعل صـــراعا سار فيه جيش من الشرقيين لا تجمعه جنسية واحدة لقتال الغرب لاننا لو نظرنا الى الحلفاء الذين حاربوا مع أنطونيوس وكليوباترة نجد (باخوس ملـك ليبيا وتاركونديموس ملـك أعـــالى كيلكيـا وأرخيلاوس ملك كابادوكيا وفيلادلفوس ملك بافلاجونيا ومثريداتس

كوما جينى وسادالس من تراقيا وارسل لهم بوليمون جيشا من بونتوس ومالخوس من النبط وهيرود من يهودية بجانب أمينتاس ملك ليكونيا وجالاتيا • وأرسلت ميديا أيضا قوات مساعدة •

وبذلك أصبح الشرق يمثله الدول الهلينستية وأرمينيا وميديا والغرب ممثلا فى روما •

حشد أنطونيوس وكليوباترة قواتهما فى أفسوس وقضوا هناك شتاء عام ٣٢ ق•م(٣٨) وكان القنصلان اللذان دافعا عن أنطونيوس وهاجما أوكتافيان منذ أول يوم توليا فيه القنصلية قد هربا الى أنطونيوس ووصلا لافسوس مع عدد من أعضاء السيناتو الموالين لانطونيوس وطلبوا منه أن يأمر كليوباترة بالذهاب للاسكندرية وانتظار نتيجة الحرب ولكنها رفضت خوفا من أن تنجح اوكتافيا فى وقف الحرب مرة أخرى •

ويبدو أن تلك كانت الفرصة الأخيرة لانطونيوس حتى ينجو من الهلاك لأن عدم وجود كليوباترة سيدحض افتراءات أوكتافيان ويستعيد أنطونيوس مكانته القديمة وربما كان قد كسب الحرب أو اتفق مع زميله وأنقذا الامبراطورية •

ولكن كليوباترة رفضت تلك الفكرة بعد أن قدمت مائتى سفينة فى اسطول أنطونيوس ومبالغ كبيرة • وقالت ان مصر سوف تغضب لرجوعها وسوف يسود التمرد بين الجنود المصريين فى الاسطول اذ هى لم تقدهم •

لقد خافت ان يعود التفاهم بين القواد الرومان وبذلك تخسر هى كل شىء • أموالها واحلامها ومملكتها التى لن تفلت بدون شك فى تلك المرة من قبضة الرومان •

واستطاعت كليوباترة ان تقنع أنطونيوس بأن تبقى معه وبذلك

جعلت الشقاق يسود قواده لاعتبارهم انفسهم يحاربون تحت لواء امرأة أجنبية وليس قائدا رومانيا يدينون له بالولاء وانفض كثير منهم من حول انطونيوس وانضموا لاوكتافيان وكان اهم اصدقائه الهاربين تيتوس وبلانكوس اللذين أخبرا عدوه بكثير من أسراره خصوصا الوصية التى تركها فى روما وذلك عندما ما أيقنوا أن أنطونيوس فى طريقه لمنح مدنهم لكليوباترة ونقل عاصمته للاسكندرية ٠

ويبدو أن أنطونيوس قد أنسته احلامه واقعه فقد نقل قواته الى ساموس وهناك أقاموا الحفلات حتى أن أصوات الموسيقى المنبعثة كانت تسمع بينما العالم يتصارع والناس يقولون ماذا عساهم أن يفعلوا بعد النصر اذ هم يفعلون ذلك قبل المعركة ؟ وقد ارسل انطونيوس لزوجته الرومانية أوامره بأن تترك منزله فى روما ٠

وتلك الاحداث ان دلت على شيء فانما تدل على مدى استهانة أنطونيوس بما هو مقدم عليه وفى أثينا أرسل أصدقاؤه المجتمعون فى روما احدهم وهو جيمنيوس ليخبره بأنه يجب أن يعيد الملكة لديارها ولكن المبعوث وجدها مهمة صعبة فى أن يقنع أنطونيوس حيث ظنت كليوباترة أن اوكتافيان هو الذى ارسله ٠٠ لذلك عاد الى روما وانضم لاوكتافيان ٠

فى تلك الاثناء أهدى أنطونيوس لكليوباترة مائتى ألف مجلد من مكتبة برجامة ويبدو أنه كان غير عابىء بأى شىء سوى ارضاء كليوباترة التى زينت له كل شىء وأوهمته أن النصر آت لامحالة ٠

وبينما كان أنطونيوس يكمل استعداداته فى بلاد الاغريق كانت أساطيل أوكتافيان تتجمع عند برنديزى وتارنتم وأرسل لانطونيوس يطلب منه الا يضيع وقتا ويأتى بقواته ٠

وفى عام ٣١ ق٠م عبر أوكتافيان البحر الامرياتى بجيشه ورابط فى مواجهة خليج أكتيوم فى الوقت الذى طوق فيه أجريبا أقدر قواده اسطول أنطونيوس كذلك استولى أوكتافيان على مواقع منعت أتصال أنطونيوس ببلاد الاغريق مما أدى الى قطع الامدادات وانتشار المرض بين الجنود فزاد ذلك من تمردهم ٠

وفى ذلك الوقت قرر الانسحاب مع كليوباترة الى الاسكندرية بالاسطول المحمل بكنوز الملكة واستسلمت قواته البرية فى بلاد اليونان ٠

تقدم أوكتافيان ناحية الشرق واضطر للعودة لايطاليا لقمع بعض الثورات وعاد الى سوريا عام ٣٠ ق٠م وبينما هو زاحف ليهاجم مصر من ناحية سوريا استطاع قائده فى شمال افريقيا السيطرة على برقة وبرايتونيوم ٠

فقد أنطونيوس أى فرصة لمقاومة أوكتافيان فانتحر فى الاسكندرية ودخل بعد ذلك أوكتافيان مصر من الحدود الشرقية مارا بالفرما فى الوقت الذى استسلمت فيه قوات انطونيوس الراسية بالميناء ويجدر بنا هنا أن نذكر دور (هيرود) ملك اليهود الذى كان يكن عداء شديدا لكليوباترة فقد حضر الى الاسكندرية بعد عودة انطونيوس من معركة أكتيوم مهزوما وعرض عليه أن يقتل الملكة لأن تلك هى الوسيلة الوحيدة للتمهيد للصلح مع أوكتافيان ولكن لم تنجح مساعى هيرود(٣٩) ٠

ويبدو أنه عاد لبلاده وانضم لاوكتافيان وساعده فى الوصول الى مصر ٠

بعد ذلك انتحرت كليوباترة لخوفها من أن يأخذها أوكتافيان

لعرضها فى مهرجان انتصاره فى روما وذلك بعد أن فقدت الأمل فى أن يعفو عنها أو ينصب ابنها قيصرون ملكا لمصر ٠

ويذكر ديون كاسيوس فى وصـــف كليوباترة فيقول : انها ماكانت لتشبع أبدا فى البحث وراء الحب وكان طمعها فى الحصول على الثروة لا يعرف حدا ٠ انها كانت طموحـا للغايـــة شـــغوفا بالشهرة صلفة متعجرفة محبة للشموخ بأنفها فى قحة وقد استحوذت على عرش مصر واستأثرت به بفضل غرام رجل هام بها ، وكادت تظل بانتهاجها نفس السبيل أن تصبح ملكة على عرش روما ولكنها باءت بالفشل فى ذلك وهكذا أضاعت ملك مصر ٠ انها استطاعت أن تستحوذ تحت سلطانها على اثنين من ابطال روما وعظمائها فى ذلك العصر ولكنها تعثرت بسبب ثالثهم وأودت بحياتها بظلفها(٤٠)

وكما يقول أحد الكتاب الحديثين(٤١) أن فترة حكم كليوباترة كانت صحوة حدثت فى الفترة الأخيرة من حكم البطالمة ٠

هوامش

(١) Bouché — Leclercq, Histoiredes Lagides, II, P. 172.

(٢) يذكر ابيانوس أن جزءا كبيرا من تلك القوات كان من الجنود الذين حضروا مع جابينيوس ·

(٣) Grant. Cleopatra, 68

(٤) Elgood, Ptolemaic of Egypt., P. 198.

(٥) Grant, Cleopatra, P. 79.

(٦) Philip W; Cleopatra of Egypt, P. 80.

(٧) Lord L.E., The Date of Julius Caeser, departure From Alex., J.R.S. 1938 (28) P. 36.

(٨) Philip W. Cleopatra of Egypt, P. 81.

(٩) Grant, Cleopatra, P. 80.

(١٠) Grant, Cleopatra, P. 80.

(١١) Grant, Cleopatra, P. 80.

(١٢) Elgood, Ptolemiec of Egypt. P. 204.

(١٣) الترجمة نقلا عن د· عبد اللطيف على ـ مصر الرومانية ·

(١٤) Elgood, Ptolemies of Egypt P. 205.

(١٥) يذكر Pliny, Nat. History, أن أقل ارتفاع للفيضان فى مصر كان فى العام الخامس من معركة فارسالوس ونعلم أن تلك المعركة كانت نهاية الحرب الاهلية بين قيصر وبومبى ووقعت عام ٤٨ ق٠م فمعنى ذلك أن العـام الذى يتحدث عنه بلينى كان عـام ٤٣ ق٠م وهو العام الذى أرسل فيه كل من أنصار قيصر والجمهوريين فى طلب النجدة من مصر ومن المحتمل أن تلك المجاعة التى تعللت بها كليوباترة كانت بسبب انخفاض النيل ٠

(١٦) يذكر بلوتارخ أن السب فى استدعاء أنطونيوس لكيلوباترة لمقابلته فى كيلكيا هو استعداده للحرب مع بارثيا ٠ وهذا دليل على أن أنطونيوس بدأ علاقته بكليوباترة ليتخذها وسيلة يمكن الانتفاع بها وبثروات مصر فى حربه المقبلة ٠

(١٧) Grant, Cleopatra, P. 111. .

(١٨) Restovtzeff, History of The Anchient World., P. 155.

(١٩) Elgood, Ptolemies of Egypt., P. 210.

(٢٠) يذكر بلوتارخ أيضا فى نفس النص ان السيناتو قد أعفى اوكتافيا من مرور عشرة أشهر على وفاة زوجها ٠ وواضح من تصرف السيناتو أن ايطاليا كانت ترغب فى التعجيل بالوفاق بين القائدين الكبيرين وهذا دليل على أن حالة الشجار بينهما كانت ستجلب على روما ويلات كثيرة لذلك سعى أصدقاؤهما فى الصلح وسعى السيناتو فى اتمام الوفاق بينهما ٠

(٢١) Bouché, Histoire des lagides, P. 244.

(٢٢) د٠ عبد اللطيف على ـ التاريخ الرومانى ص ٣٣٥ ٠

(٢٣) Grant, Cleopatra, P. 142.

(٢٤) Elgood, Ptolemies of Egypt, P. 216.

(٢٥) كان مع أنطونيوس عراف مصرى (يحتمل أن كليوباترة قد ارسلته معه) وكان يوحى اليه دائمـا بأن ينفصـل عن اوكتافيا حتى يتحقق لـه ما يريد) ٠

(٢٦) Elgood, The Ptolemies of Egypt. P. 218.

(٢٧) Tarn, Alexander Helios and Golden Age. J.R.S. 22, 1932, P. 143.

(٢٨) يذكر استرابون ان أنطونيوس قد أعطى قبرص لكليوباترة ·
ويذكر ديون كاسيوس ان قيصر هو الذى أعاد قبرص الى التاج المصرى
ومن الجائز ان تصرف أنطونيوس هذا تاكيد لمنح قبرص لكليوباترة ·

(٢٩) Rostovizeff, History of Anchient World, II, Rome, P. 155

(٣٠) Volkman H., Cleopatra, Astudy in Politics and Propaganda, P. 123.

(٣١)

(٣٢) Macurdy, Hellenistic Queens, P. 207.

(٣٣) زكى على ـ كليوباترة ، سيرتها وحكم التاريخ عليها ص ٨٣ ·

(٣٤) Rostovtzeff, History of the Anchient World, Rome, P. 153 — 6.

(٣٥) Rostovtzeff, History of the Anchient World, Rome, P. 155 — 6.

(٣٦) Rostovtzeff, Ibid.

(٣٧) زكى على ـ كليوباترة ، سيرتها وحكم التاريخ عليها ص ٩٨ ·

(٣٨) Macurdy, Hellenistic Queens, P. 207

(٣٩) زكى على ـ كليوباترة ، سيرتها وحكم التاريخ عليها ص ١١٣ ·
يذكر ديون كاسيوس ان أوكتافيان (بعد انتصاره فى معركة أكتيوم)
قام بادارة الممالك الهلنيسيتة تبعا للنظم الرومانية ولكنه أعطى الحق
للممالك الحليفة أن يحكموا ممالكهم تبعا لنظمهم ثم يذكر ديون كاسيوس
ان هيرود ضمن هؤلاء الحلفاء ويبدو أن اكتافيان قد تصرف كذلك نحو
الممالك التى ساعدته فى الحرب ضد أنطونيوس وكليوباترة وكان هيرود
من هؤلاء الملوك ·

(٤٠) د· زكى على ـ كليوباترة ، سيرتها وحكم التاريخ عليها ·

(٤١) Tarn. Hellenistic Civilization P. 46.

* * *

الخاتمـــــة

تقويم لدبلوماسية البطالمة

فــى

(القرنين الثانى والأول ق — م)



من خلال الدراسة السابقة وجدنا أن الدبلوماسية قد لعبت دورا مهما فى العلاقات الدولية فىتلك الفترة موضوع دراستنا وكانت ممثلة للجانب السلمى ففى مجال الحديث عن العلاقات المصرية السليوقية فى الفترة من ٢٠٢ الى ٩٦ ق٠م وجدنا أنه قد تم اتفاق بين سوريا ومقدونيا للاستيلاء على أملاك البطالمة وذلك فى عهد بطلميوس الخامس (ابيفانس) وأنه لم يكن من المستبعد حدوث هذا الاتفاق وذلك نظرا لحالة الضعف التى كانت عليها مصر منذ عهد بطلميوس الرابع ٠

ومن خلال دراستنا للبعثة الرومانية لانتيوخس الثالث فى لوسيماخيا عام ١٩٦ ق٠م ٠ وجدنا أن أنتيوخس وقد أحس بقوته بعض الشىء قد استغل انشغال روما فى حربها المقدونية الثانية وتحرك لاستعادة أملاك اجداده ٠ ولكن روما التى ما كانت ترضى أن يختل ذلك التوازن فى حوض البحر المتوسط استطاعت تهديده ثم شنت عليه الحرب عام ١٨٩ ق٠م ٠ وهزمته فى موقعة ماجنسيا عام ١٨٨ ق٠م وكانت البعثة الرومانية هى بداية النهاية لقوة سوريا فى حوض البحر المتوسط فى تلك الفترة ٠

فى مجال الحديث عن العلاقات المصرية السليوقية ايضا ومن خلال دراسة النصوص الأدبية القديمة فى موضوع زواج

كليوباترة الأولى ابنة أنتيوخس الثالث ملك سوريا من بطلميوس الخامس (ابيفانس) ملك مصر وجدنا ان من المرجح أن الملك السورى هو الذى بدأ بعرض الزواج لأن مشاريع زواج بناته كان خطا سياسيا اتبعه لتقوية نفسه وذلك بعقد المصاهرات مع الممالك المجاورة .

كذلك وجدنا من خلال دراستنا للنصوص التى تبين محاولات البلاط فى الاسكندرية عرض الزواج فى أول الأمر على ملك مقدونيا أن الوصيين لم يفعلا ذلك الا لمحاولة التخلص من بعض الشخصيات التى تناوئهم .

أما فى مشكلة المهر فقد كانت براعة الدبلوماسيين السوريين سببا فى اقناع الجانب المصرى أثناء مباحثات عقد الزواج أن اقليم الوادى السورى سوف يؤول لهم بمرور الوقت وهو ما كانت تريده مصر وتعمل على تحقيقه ووافقت على اتمام الزواج من أجل ذلك .

أما فى مجال الحديث عن الحرب السورية السادسة فقد كانت دراستها من ناحيتين : ناحية العلاقة بين مصر وسوريا ، ومن ناحية العلاقة بين مصر وروما .

وفى حديثنا عن تلك الحرب من الناحية الاولى وجدنا أن مصر هى التى بدأت بالدعاية لشن الحرب التى قام بها الوصيان بولايوس ولينايوس ولكن المبادرة الحربية قام بها الملك السورى أنتيوخس الرابع لاستخفافه بملوك مصر واستغلاله انشغال روما فى حربها المقدونية الثالثة .

وظهرت براعة الدبلوماسية السورية فى أن الملك السورى شن الحرب فى الوقت الذى استطاع فيه أن يكسب جانبا للمدن اليونانية ويتقرب الى روما مجددا وعده القديم بمساعدتها فى

الحرب ضد مقدونيا متهما الجانب الآخر باعلان الحرب عليه وقد استغل فى ذلك الدعاية التى قام بها الأوصياء فى مصر لاثبات انهم هم الذين بدأوا بالحرب ٠

فى مجال الحديث عن العلاقات المصرية الرومانية فى نفس الفترة التى تمتد من ٢٠٢ الى ٩٦ ق٠م ٠ ومن خلال الوثائق وجدنا أن العلاقات بين مصر وروما ترجع الى عهد بطلميوس فيلادلفوس ٠

وفى الحديث عن البعثة الرومانية للشرق عام ٢٠٠ ق٠م استطعنا أن نبين من خلال النصوص أن روما جعلت من نفسها حامية المدن الاغريقية المستقلة وأن البعثة قد حضرت لاعلان نصرها على هانيبال ولمعرفة الموقف فى شرق حوض البحر المتوسط حيث كانت مقبلة على حربها المقدونية الثانية مع فيليب الخامس ٠ وانها بذلك تحافظ على التوازن السياسى فى حوض البحر المتوسط حتى لا يختل وتستولى قوة على أخرى ومن ثم تستطيع أن تقف معها على قدم المساواة ٠

ثم كانت البعثة الرومانية لانتيوخس الثالث فى لوسيماخيا خطوة اتخذتها روما للمحافظة على التوازن السياسى فى حوض البحر المتوسط ولبيان عدم رضائها عن توسع أى قوة هلينستية على حساب غيرها أو تزايد أى قوة بحيث تستطيع أن تكون ندا لها ٠

وأثناء الحديث عن معاهدة أباميا لمسنا براعة الديبلوماسية الرومانية التى كانت سببا فى تقسيم العالم الهلينستى الى ثلاث مجموعات اتخذت منها رودس وبرجامة عملاء لها واحدا جغرافيا يفصل سوريا عن مقدونيا وهما القوتان اللتان كانتا تخاف من اتحادهما او توسع احداهما على حساب الأخرى وقيام دولة هلينستية كبرى فى حوض البحر المتوسط .

أما فى الحديث عن الحرب السورية السادسة من ناحية ما يخص العلاقات بين مصر وروما فقد وجدنا أن دور روما كان واضحا منذ بداية الحرب فهى من ناحية شجعت أنتيوخس الرابع بطريق غير مباشر على أن يغزو مصر وذلك حتى تصرف نظره عن مساعدة مقدونيا ضدها حيث كانت مشتبكة معها فى الحرب المقدونية الثالثة ٠

ومن ناحية أخرى طمأنت مصر أنها سوف تقف بجانبها ضد انتيوخس وذلك حتى تضمن انشغال القوتين أو على أقل تقدير انشغال سوريا ٠

وعندما اطمأنت بصورة نهائية الى انتصارها فى حربها ضد مقدونيا أرسلت سفراءها الذين استطاعوا أن يحدوا من تقدم أنيوخس الرابع بل يضطروه للانسحاب من مصر نهائيا وبذلك فرضت حمايتها على مملكة البطالمة ٠

فى مجال الحديث عن العلاقات المصرية الرومانية أيضا كان واضحا أن روما عملت على بذر الخلاف بين الأخوين فيلوميتور ويورجيتيس الثانى واستغلال ذلك فى تفتيت دولة البطالمة وجعلها دولتين يحكمهما الاخوان حتى بلغ العداء بينهما أن أوصى يورجيتيس الثانى وابنه بطلميوس ابيون من بعده بممالكهما للرومان وكانت روما حكما بين الأخوين وبدأت مساعدتها الحربية لطرف ضد الآخر عندما أعادت بطلميوس يورجيتيس الثانى الى قبرص بالقوة ٠ وكان انحيازها دائما ليورجيتيس الثانى سببا فى تزلفه واعترافه بجميلها طيلة فترة حكمه منفردا لمصر ٠٠ ويتضح ذلك من سلوكه مع البعثات الرومانية التى حضرت الى الاسكندرية فى عهده ٠

في مجال الحديث عن نمو السيطرة الرومانية علي مصر وهي الفترة التي تمتد من عام ٩٦ ق٠م وتنتهي بالتدخل الروماني عام ٣٠ ق٠م وجدنا أن تعيين سولا ديكتاتور روما للاسكندر الثاني ملكا على مصر هو بداية لفرض السيطرة الرومانية وسببا للقلاقل التي بدأ بها عهد الزمار ٠

فقد كانت هناك محاولات دائبة من جهة روما لاثبات وصايتها على مصر يقابلها محاولات من الملك بطلميوس الزمار لكسب اعتراف روما به ملكا وذلك بعد أن أشاعت روما وجود الوصية التي تركها الاسكندر الثاني يوصي فيها بمملكته (مصر) للرومان ٠

ووجدنا أنه تردد فعلا الحديث عن تلك الوصية حيث جاء ذكرها في خطب شيشرون ٠ ولمسنا بوضوح المناورات التي قام بها حزب الشعب لضم مصر الى الامبراطورية وكان واضحا أن ذلك لغرض يريده حزب الشعب لنفسه ٠

وقد كانت محاولات بطلميوس العديدة واستغلاله الشقاق الحزبي ودفعه الرشاوى سببا في أن اعترفت به روما آخر الأمر ملكا على مصر ٠

كذلك أثناء حديثنا عن تلك الفترة (حكم بطلميوس الزمار) لاحظنا ما فعله هذا الملك من اراقة ماء وجهه لدى الرومان عندما هرب من الاسكندرية الى روما وطلب عونا ضد شعبه ٠

ومرة ثانية أخذ ملك مصر ومشاكله جزءا من اهتمام الساسة الرومان ونشأت في روما مشكلة اعادة الملك الى عرشه ٠

ووجدنا أن هناك مناورات دبلوماسية تحدث في روما من أجل

الفوز بمهمة اعادة بطلميوس الى وطنه حتى استطاع بومبى أخيرا بمهارته أن يكون سببا فى اعادته ٠

ولم يكن فى عهد هذا الملك شىء يذكر الا أنه أعطى الفرصة للرومان بالتدخل العسكرى عندما أعاده جابينيوس بقواته وأرهق اقتصاد مصر بسبب ديونه لرجل المال الرومانى رابيريوس ، وكانت وصيته التى تركها يوصى فيها روما بأن تكون مشرفة على تنصيب أبنائه سببا فى ازدياد التدخل الرومانى عندما حضر قيصر فى أعقاب بومبى الى الاسكندرية ونزل الى المدينة لينفذ وصية الزمار ٠

ببداية عهد كليوباترة عام ٥١ ق٠م تبدأ حلقة جديدة وغريبة فى عهد البطالمة وفى علاقاتهم الخارجية كذلك الأسلوب الدبلوماسى الذى اعتمدوا عليه ٠ وتقريبا أصبح التحرك السياسى لهم مقتصرا على العلاقة مع روما ٠

وجدنا أن كليوباترة قد استغلت تأثيرها وعلاقتها الشخصية مع يوليوس قيصر فى أن تحقق أحلامها فى استعادة عظمة أجدادها لكنها لم تستطع رغم أنه كان لها التأثير الأكبر فى الابقاء على الاستقلال الاسمى لدولة البطالمة حتى ذلك الوقت ٠

بعد وفاة قيصر بدأت الحلقة الأخيرة من حكم البطالمة وكانت عبارة عن صحوة للملكة كان من الممكن أن تستمر لولا ذكاء أوكتافيان الذى استغل علاقة أنطونيوس بكليوباترة وشن عليهما الحرب الدعائية الناجحة التى كانت سببا فى انتصاره عليهما فى معركة أكتيوم ٠

وقد بدأت علاقة أنطونيوس بكليوباترة علاقة حاول كل طرف منهما أن يستفيد منها لتحقيق أغراضه . فقد حاول أنطونيوس الاستيلاء على ثروات مصر حتى يستطيع أن يحقق أحلامه بالقضاء على البارثيين وحاولت كليوباترة أن تسيطر عليه حتى تستطيع أن تكسب الى جانبها ابنا من أبناء روما تحاربها به وتحقق أحلامها فى سيادة العالم عن طريقه . ووجدنا أن كليوباترة قد نجحت فى أن تكسب أنطونيوس الى جانبها ، ولكن الذى نجح فى القضاء عليهما هو أكتافيان وذلك بأن عبأ الشعور الرومانى لحرب قومية ضد ملكة أجنبية .

وبدأت الحرب بين الشرق ممثلا فى الدول الهلينسيتة وميديا وأرمينيا والغرب ممثلا فى روما وحلفائها . وكانت تلك الحرب هى نهاية دولة البطالمة بعد صحوة مؤقتة لم تستمر طويلا .



المصادر الأدبية :

Appian : (Loeb Classical Library)

Coeser : (Loeb).

Cicero : Pro Rabirio Post. (Loeb.)
Ad Atticum (Loeb·)
In Legen Agrariom '(Loeb.)

Dio Cassius : (Loeb.)

Diodorus Siculus : (Loeb.)

Josephus, : Jewish war (Loeb.)
Jewish Antiquities (Loelb.)

Livy : (Loeb.)

Maccabeos, : II.·

Pliny, : Natural History

Polybius : (Loeb·)

Porphyrus : (Fragenta Histericorum Graecorum)

Plutrach's Lives : (Loeb.)
Antony
Caeser

Crassus
Cato Minor
Pompey

Strabo : (Loeb.)

Suetonius : (Loeb.)

Tacitus

الوثـــائق البردية :

Ban A.,

Archiv Fur Papyrusforschung und Verwanddte Gebiete, 1927.

Edgar C.C.,

Catalogue Gnéral Des Antiquités ·Egyptiennes Du Musée Du Caire, Zenon Papyri, 1926.

Grenfell P.,

Hunt A., Smyly J.,
and others, the Tebtunis Papyri., 3, Vols. in four Parts, London, 1902 — 1938

النقـــــوش :

Choix D'Inscriptions de Délos, ed. by F. Durbbach, Paris, 1922.

Supplementum Epigraphicum Graecum, ed. by G. Laffenbach. L. Robert Lugduni Batavorum, 1938.

المراجع الأجنبية :

Bell H.I., : Egypt From Alexander The Great To The Arab Conquest, Oxford, 1948.

Bevan Ed., : A History of Egypt Under The Ptolemaic Dinasty, London, 1914.

The House o fSeleucus, 2 Vols, London, 1902.

Bouché-Leclercq, Historires des Lagides, 4, vols. Paris, 1903.

Cary M., : History of Rome Down To The Reign of Constantine, London, 1962.

Collomp P., : Recherches Sur La Chancellerie Et La Diplomatique Des Lagides, 1926.

Elgood J.G., : The Ptolemies of Egypt, Oxford, 1935.

Fraser P.M., : Ptolemaic Alexandria, Oxford, 1972.

Grant M., : Cleopatra, London, 1972.

Holleaux M., : Rome, La Gréce Et Les Monarchies Hellénistiques, Au IIIe Siécle Avant J. — C.

Jones A.H.M·, : The Cities of The Eastern Roman Provinces, Oxford, 1937.

Lord L.E., : The Date of Julius Caeser's Departure from Alexandria, J.R.S·, 28, 1938.

Maourdy B.H. : Hellenistic Queens, Oxford, 1932.

Magie D. : The Areement Between Philip V and Antiochus III for The Partition of Egypt Empire. J·R.S. 29, 1939.

Poole R., : Catalgue of Greek Coins, The Ptolemies Kings of Egypt, London, 1883.

Rostovtzeff M., : The Social and Economic History of Hel-

viderat».

Cuius redit um Consuli mandatum a Senatu videbat huic ipsi Alexandrino grandem iam ante pecuniam lenistic World, 3, vols.، Oxford, 1953. Foundation of Social and Economic Life in Egypt, J·E.A., 1920.

Rostovtzeff M., : History of the Anchient World., Rome, Oxford, 1927.

Sergeant, P.W., : Cleopatra of Egypt, London, 1909.

Tarn W.W·, : Hellenistic Civilisation, London, 1927.

Volkman H., : Cleopatra, Astady in Politics and Propaganda, London، 1953.

Weigall A.B. : The like and Times of Cleopatra, Queen if Egypt, London 1914.

المراجع العربيـــة :

* د . ابراهيم نصحى

تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، ٤ أجزاء ، ١٩٧٦ .

* د . زكى على

كليوباترة ، سيرتها وحكم التاريخ عليها .

* د . عبد اللطيف أحمد على

التاريخ الرومانى ، عصر الثورة ، ١٩٧٣

مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ١٩٦٥

* د . لطفى عبد الوهاب يحيى

دراسات فى تاريخ مصر عصر البطالمة ، ١٩٦٧

* د . مصطفى العبادى

مصر من الاسكندر الأكبر الى الفتح العربى ، ١٩٧٥ .

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة



صـــدر من هـــذه السلسلة

١ ــ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ــ على ماهر :
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ــ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ــ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ــ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧

٦ ــ هؤلاء الرجال من مصر ، جـ ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ ــ صـــلاح الدين الأيوبى ،
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ــ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د . على بركات ، ١٩٨٧

٩ ــ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ــ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية :
محمود فـوزى ، ١٩٨٧

١١ ــ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٧

١٢ ــ هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د . نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د . على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د . على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د . أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ح ١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ح ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ــ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ــ ١٩٣٦م) ،**
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ــ **المجتمع الاســــلامى والغرب ،**
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د . احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ــ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،**
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ــ **فتح العرب لمصر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ــ **فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ــ **مصر فى عصر الاخشيديين ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ــ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ــ **خمسون شخصية مصرية وشخصية ،**
شـــــكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ــ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ــ **مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضـــاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،**
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ــ **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصـــور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،**
د . يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ - **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ - **المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د . احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ - **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د . سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ - **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى**
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ - **قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،**
د . جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ - **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د . عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ - **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د . رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ - **تكوين مصر عبر العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ - **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ - **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د . محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ - **الحروب الصليبية ، جـ ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د . حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د . لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د . زبيدة عطـا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د . سـهير اسكندر ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقـافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشـر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د . الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د . محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ﺟ ٢ ،**
تأليف : وليم الصـورى : ترجمة وتعليق : د . حسـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،**
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ــ مصر الاسلامية واهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ــ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ــ الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التاميم (١٩٥٧ ــ ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ــ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر جـ ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية،
تاليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ــ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ــ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩١٧)
سهام نصار ، ١٩٩٣

٦٦ المراة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د . نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣

٦٧ ــ مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٢) ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ — **الحروب الصليبية ، ﺟ ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة : وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ — **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ — ١٩٥١)،**
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ — **اهل الذمة فى الاسلام ،**
تاليف : أ . س ترتون ، ترجمة وتعليق : د حسن حبشى ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ — **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ — ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ — **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ — ٥٦٧ ﻫ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ — **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د . رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ — **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ﺟ ١ ، فى العصر الفرعونى**
د . سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ — **اهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الاول ،**
د . سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ — **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ - **الحروب الصليبية ، حـ ٤ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ - **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عتمان ، ١٩٩٥

٧٩ - **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ - **قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،**
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ - **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر ،**
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ - **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ - **مذكراتى فى نصف قرن ، حـ ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ - **مذكراتى فى نصف قرن ، حـ ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ، ١٩٩٥

٨٥ - **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،**
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ - **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤) ،**
د . أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، هـ ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى
الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)
هـ ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د . نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
جـ ٢ ،
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا .. الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الافريقية بجامعة القاهرة)
اعدها للنشر د . عبد العظيم رمضان

٩٦ - **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)** ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ - **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر** ،
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ - **هيكل والسياسة الأسبوعية** ،
د . محمد سيد محمد

٩٩ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) ﺟ ٢** ،
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ - **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة** ،
أ. د. عبد العزيز صـالح ، أ. د. جمـال مختـار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصـحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم رمضـان

١٠١ - **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة** ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - **المقطم جريدة الاحتلال البريطاني فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢** ،
د . تيسير أبو عرجة

١٠٣ - **رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره** ،
د . علي بركات

١٠٤ - **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)** ،
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،
د . أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ﺟ ٢ ،
د . سليمان صـــالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،
تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، ﺟ ٤ ،
ســليم خليــل النقــاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، ﺟ ٥ ،
ســليم خليــل النقــاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المماليك) ، ﺟ ١ ،
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المماليك) ، ﺟ ٢ ،
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اســماعيل باشــا صــدقى ،
د . محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،
د . اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،
أحمد رشــدى صـــالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية « دراسة وثائقية »
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث (١٧٧٥ ـ ١٩٥٢)
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ ٦ ،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد احمد البدوى ،
د . سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن ،
د . محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ ٧ ،
سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨ ،
سليم خليل النقاش

رقم الايداع ١٩٩٨/١٥٥٥٩

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 — 01 — 5996 — 4

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة



هذا الكتاب من الموضوعات التى لم تصدر فيها من قبل دراسات كافية من قبل الباحثين فى التاريخ البطلمى.

وقد قسمته المؤلفة إلى مرحلتين زمنيتين: المرحلة الأولى من عام ٢٠٢ ق. م. إلى عام ٩٦ ق. م. وفيه تحدثت عن العلاقات المصرية السورية عندما كانت كل من مصر وسوريا ومقدونيا تحت حكم ثلاثة ملوك فتيان هم: بطليموس الرابع، وانتيوخس الثالث وفيليب الخامس، وعندما ضعفت دولة البطالمة فى عهد بطليموس الرابع، ظهرت سوريا ومقدونيا ظهورا لم يستمر طويلا، ثم مالبثت سوريا ومقدونيا بعد وفاة بطليموس الرابع أن أخذتا تعملان للاستيلاء على مملكة البطالمة الواسعة تساعدهما الأوضاع الداخلية المتردية فى مصر. وتعرضت المؤلفة لدور روما التى كانت على وشك الانتهاء من الحرب البونية الثانية وأرسلت بعثتها إلى الشرق عام ٢٠٢ ق.م.

أما المرحلة الثانية، وتمت من ٩٦ ق.م إلى ٣٠ ق.م، فقد تناولت فيها المؤلفة نحو السيطرة الرومانية على مصر، وقسمتها إلى قسمين: فترة حكم بطليموس الزمار (الثانى عشر)، وفترة حكم كليوباترة السابعة (٥٠ ـ ٣٠ ق.م) التى كانت صحوة حديث فى الفترة الأخيرة من حكم البطالمة.

٣٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب